الصحة، الفقر ومجتمع الهامش بالمغرب في زمن وباء كورونا:

مقاربة سوسيولوجية

بقلم إيمان الرامي: باحثة بعلم الاجتماع جامعة محمد الخامس- الرباط

باحثة بسلك الدكتوراه بمختبر التنمية المحلية والتغير الاجتماعي – تحضر أطروحة دكتوراه حول موضوع : السياسة الاجتماعية والاقتصادية الرسمية بالريف المغربي: واقعها وأفاقها: دراسة ميدانية لإقليم الحسيمة

البريد الالكتروني imaneerrami85@gmail.com : @

ملخص:

تتناول هذه الدراسة اعتمادا على بحث سوسيولوجي موضوع **الصحة، الفقر ومجتمع الهامش بالمغرب في زمن وباء كورونا،** هذا الزمن الذي فرض اتباع إجراءات احترازية أقرتها السلطة التنفيذية لاسيما إجراءات الحجر الصحي العام وإعلان حالة الطوارئ. ولعلّ ما يهمّنا في سياق وباء كورونا أنه يمثل لحظة تاريخيّة للبحث في العلاقة بين المجتمع "المهيكل" و المجتمعات الموازية أو ماأسميناه في هذه الدراسة بمجتمعات الهامش الخارج عن المرئية الاجتماعية، الذي يظهر كضحية للعنف الرمزي الذي يمارس عليه من طرف العالم الخارجي، والمقصود هنا عالمي العمل والاستهلاك كأحد أبرز أوجه الأزمة في اللحظة الاجتماعية الراهنة.

بناء على ذلك، تُحاول الدراسة إبراز تجربة التهميش والاقصاء الاجتماعي في ظل زمن موبوء بعثر التوازن الهش للفئات التي تعيش في الفراغات الحضرية للمدينة المغربية ؛ بمعنى التركيز على الكيفيّة التي نظر بها الهامش للوباء- والطريقة التي تفاعل بها مع واقعه الجديد، أي في محاولة للتساؤل عن تلك الكيفية التي تعامل بها الهامش المضاد للحياة الحضرية العادية في المغرب مع ظرفية الوباء، والكشف عن ما إذا كانت له الأدوات المادية والمعنوية التي تحميه وتقيه من تبيعات الأزمة ، مفترضين أن المغاربة ونظرا للاختلافات التي تطبع مواقعهم الوظيفية، ومستويات دخلهم فإنهم لم يتعاطوا مع الأزمة الوبائية بنفس الطريقة، ولم يلتزموا بإجراءات الحجر الصحي على نفس النحو والدرجة في ظل وضعية تهميش وغياب بديل اقتصادي مقدم من طرف الدولة .

من هذا المنطلق، سنحاول أن نبلور رؤية وتمثُّل سوسيولوجي لمعنى العيش في وضعيات هشاشة اجتماعية في مجتمع المخاطرة (la société du risque)[1] لمن هم "خارج المجتمع" و لتحولات نسق معيشهم اليومي و آثاره النفسية و الأسرية و العلائقية، وذلك من وجهة نظر الفاعلين أنفسهم الذين يعيشون في " قاع المدينة"[2] انطلاقا من موقف حذر على المستوى الإبستيمولوجي والمنهجي، يسمح لنا بأن نقيم تلك المسافة الضرورية بيننا وبين موضوعنا، لاسيما وأن الكثيرين يميلون في غالب الأحيان إلى تعريف الهامش على نحو سلبي، ويفكرون دائما في سبل الخلاص منه. لذا فإنّنا نودّ أن نستجمع الأفكار الرئيسية للدراسة والنتائج التي أفضت إليها تحليلاتنا التي من شأنها أن تعيد النظر في الأفكار المحمولة عن" الهامش" الذي فرضت أزمة كورونا ضرورة الاعتراف به من قبل الدولة و من قبل المجتمع الكلي والمجتمع المهيكل أو المندمج.

الكلمات المفتاحية:

سوسيولوجيا الصحة- وباء كورونا- الهامش- الاقصاء، الدولة الاجتماعي/الراعية.

تقديم عام:

[1] تجدر الاشارة الى ان هذا المفهوم يرجع الى عالم الاجتماع الألماني أولريش بك الذي صاغه في كتابه " مجتمع المخاطرة، نحو حداثة جديدة"

[2] Y. Grafmeyer & I. Joseph, **L'école de Chicago; Naissance de l'écologie urbaine**, Champs Flammarion, 2004, p. I

A. Coulon, **l'école de Chicago**, coll. Que sais-je, PUF, Editions Delta,1996, p. 76

من المعلوم لدى الجميع أن النهوض بالأوضاع الصحية للأفراد والوقوف على ما تعانيه من أمراض، وكيفية علاجها، يعتبر أحد أهم المؤشرات التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار في كل سياسية أو برنامج أو استراتيجية سياسية أو اقتصادية للدولة، كون التعاطي مع الأمراض والعلل الصحية يفرض ضرورة تجاوز المقاربة البيوطبية إلى ما هو سوسيو اقتصادي واجتماعي وثقافي.

واليوم كما في كل الحقول العلمية، تحظى الدراسات السوسيولوجية حول الأمراض والأوبئة والمجاعات بأهمية كبيرة في المغرب، هذه الأوبئة التي كانت تحصد الناس بالجماعات .وقد سبق للمغرب أن واجه عدة أوبئة كانت تعصف بالبلاد على نحو دوري وفقا لحسن الوزان، وكاستمرارية لهذا النسق الباتولوجي عرفت البلاد لاحقا أوبئة أخرى مثل التيفوس[3]،

[3] أطلق مصطلح التيفوس على الأمراض المعدية، وكان بواسيي دي سوفاج Boissier de Sauvage قد تمكن من تصنيفه كداء مستقل إكلينيكيا في القرن 18، وهو بذلك داء عضال حلوله بالبلاد يعني هلاك سكانها، وينتشر بشكل خاص في المواقع التي تنتشر فيها المجاعة. (إدارة الصحة العمومية، مدارية التيفوس، مطلعة فورتان ومولو، الرباط، د،ت، ص 3.)

J. Ruffie et sournia(J.C) les épidémies dans l'histoire de l'homme. Essai d'antopologie médicale. Flammarion. Paris. 1993. P 146.

ومن أعراضه ارتفاع درجة الحرارة مصحوبة بصداع شديد في الرأس وتسارع دقات النبض، وكل هذه الأعراض تتسبب في ظهور طفح وردي اللون على الجلد، ومن الممكن أن يؤدي إلى الموت في حالة استفحال حالة المصاب. والفيروس المسؤول عن انتقاله عرف أنداك ب"ريكتسيا بروفاسيكي Rickettsia Prowaceki ويرجع أصل هذه التسمية إلى ريكتس Rickets وهو عالم أمريكي توفي وهو يدرس التيفوس في إحدى المدن المكسيكية، وأضيف له لاحقا اسم العالم النمساوي Prowaceki والذي توفي بنفس الطريقة. (لمزيد من التفاصيل بخصوص هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: هانس زينسر، التيفوس والتاريخ، ترجمة أحمد بدران، مراجعة محمد بدران، الشركة العربية للتوزيع والطباعة، د،ت)

أما عن الكيفية التي كان ينتقل بها هذا المرض، فكانت تتم عن طريق لسعات القمل، وهو الأمر الذي اكتشفه العالم الفرنسي شارل نيكول Charles Nicole في العام 1909 وهو مدير معهد باستور بتونس بمعية مساعديه كونت وكونيساي مبينين بذلك عكس ما توصلت له البحوث قبلهم على أن الوباء ينتقل بسبب التقلبات الجوية، على اعتبار أن القمل إذا لسع الشخص يترك طفيليات حول المكان الملسوع، والانسان بحكه لتلك المنطقة يحدث خدوشا بأظافره في الجلد مما يسهل عملية تسرب الطفيليات إلى الجسم، فيكون بذلك قد أصيب بالتيفوس. وقال عنه الطبيب رينو :**"في سنة 1688 ظهرت حمى خطيرة مسترسلة متفرقة تسمى بالحمى القرمزية Tabardillo وهو عبارة عن مرض يصاحب الام حادة مع غياب تام للشهية وارتفاع درجة الحرارة إلى مستويات مفرطة المصحوبة بوهن وضعف شديدين لأيام طويلة، ومات بفعله الكثيرون ... واستمر الحال هذا إلى حدود سنة 1690"** Raynaud. Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc. PP 91-92 وفي نفس السياق يؤكد على أن طبيب البعثة الفرنسية في طنجة أعلن في فاتح أبريل من العام 1855 عن العديد من الحالات المصابة بهذا الوباء، وذكر أنه انتشر بشكل كبير في العام 1868.وحسب المصادر التي طلعنا عليها بهذا الخصوص يبدو أنه بلغ ذروته في زمن المجاعات تحديدا، ويشك أنه هو الذي فتك بأكثر من 3000 شخص في ظرف أربعة أيام ما بين 1901-1903، وعاد بعدها بعد جفاف 1905– 1906 وفقا لما ذكره Brives; De Segonzac. وبهذا يكون التيفوس من أكثر الكوارث بعثا للهلع في نفوس المغاربة خلال الثلث الأول من القرن العشرين، ووفقا لما ذكرته المصادر التاريخية فقد عرفت المرحلة الممتدة من 1911 إلى 1928 قدومه وبلوغه الذروة لثلاث مرات المرحلة الأولى كانت في سنوات 1911-1912-1913-1914 والثانية في 1921-1929 وامتدادها على سنوات 1924-1925 بمراكش تحديدا، ثم المرحلة الثالثة خلال الأعوام 1927-1928. لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع وتداعيات هذا الوباء على المغرب وساكنته يمكن الرجوع إلى:

De Segonzac. Voyage au Maroc 1899- 1901. Paris. 1903. P206.

Weisgerber. Au seuil du Maroc moderne . Rabat. 1947. P 206.

PENZ. La population juive au Maroc de 1886-1913. Archives Réunies par Mme Levaillant en NOV 1980. (Rapport tappé . bibliothèque de l'Alliance Israélite. Paris. P13.

V. Herzen. Notes et réflexions sur la nosologie du Maroc. Revue Suisse de Médecine. N) 4-5 et 6. 1911. P11

(Eh) Bois. Années de disette. années d'abondance . Secheresse et pluies au Maroc . in Revue des Calamités. Genève. 1949. P11

والطاعون[4] والجدري[5]، و أمراض مثل حمى المستنقعات (البرداء أو بالوديزم Paludisme[6] – الزهري[7] – الجذام[8]- السل[9]- الرمد[10] ...إلخ، وهي كلها افات حصدت عدة أرواح أشار إليها دانييل ريفي Rivet بأنها الأوبئة الأكثر فتكا في

R. Cruchet . La Conquête pacifique du Maroc. Ed. Boyer. Le It. 1930. P59.

(H.R.J) Renaut . le typhus exanthématique au cours de l'histoire du Maroc. in Maroc Médical. N) 185. Nov 1937. P434.

G. Bidault. Pluviométrie de l'année agricole 1944- 1945. In BESM. N)26. 1945. P59.

وبالنسبة للمخطوطات أنظر : مجمد بن علي الدكالي، اتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا، مخطوطة الخزانة العامة ، ج 11، ص ص 88-89.

[4] سبق لشمس الدين ابن قيم الجوزية أن عرفه على أنه:"ورم رديء قتال، يخرج معه تعب شديد مؤلم جدا، يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ماحوله في الكثر أسود أو أخضر أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعا. وفي الأكثر يحدث في ثلاث (كذا) مواضع: في الإبط، خلف الأذن و الأرنبة وفي اللحوم الرخوة" شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د،ت، ص ص 39-40.

أما في تعريفه العصري فهو مرض يصيب الفئران وباقي القوارض الأخرى وينتقل إلى الانسان، ومن سماته أنه عبارة عن التهاب في الجهاز اللمفاوي وكذلك نزيف على مستوى الأنسجة (عثمان الكاديكي، الأمراض المعدية، بنغازي، د،ت، ص 116.) وهو نوعان طاعون دملي يصيب الغدد اللمفاوية التي تصاحبها أورام في الإبط والعنق وخلف حلمة الأذن ويعرف هذا الصنف عند المغاربة بالعديد من التسميات منها (بوكبار- الولسيس- بوطابك). أما النوع الثاني فهو الطاعون الرئوي وهو نوع قاتل، إذ ينال من الجسد بعد يومين أو ثلاثة فقط . وقد كان هذا الوباء دائم الحضور في المغرب اخرها في السنوات القليلة السابقة عن توقيع الحماية وهو ما يؤكده دوزاندس Douzans (طبيب مبعوث، جاء إلى المغرب في العام 1906. لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع على سبيل المثال إلى :

Françoise Hildesheimer . Fléaux et société ; de la grande peste au choléra XIV- XIX siècle. Hachette. 1993.

L. RAYNAUD. Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc. Alger . 1902.

Mustapha Akhmisse. Histoire de la médecine au Maroc . Ded origines au Protectorat . Casablanca . 1991.

Douzans ' Medecin – Major de 1er classe) Mémoire sur la nosologie marocaine avant le Protectorat (1906-1908) . Lyon. 1913.

Dr. Mauran. La société marocaine . Etudes sociales . Impressions et souvenirs . Paris. Henry Paulin et C . Editeurs . s. d.

E. Kem/ Voyage d'un hygiéniste au Maroc . Extrait de la Revue d'Hygiène et de police sanitaire . T. XXXIII. N°11. Nov 1911. P12.

Dr Garcin . Rapport à Mr le Président du conseil sanitaire de Tanger à propos de la peste des Doukkala . legétion de France à Tanger . Dossier 1 carton 504- 51. Archives de Nantes .

العربي المشرفي، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، دراسة وتحقيق الحسين الفرقان، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ تحت إشراف الأستاذ محمد أمين البزاز، كلية الآداب، الرباط، (رسالة مرقونة)، الموسم الجامعي 2003-2004.

وهناك دراستين في غاية الأهمية، وقد همت إحداهما أوبئة القرنين 16 و 17م، والثانية كانت حول طواعين القرن 18 و م19 ونقصد هنا الدراسة القيمة لمحمد أمين البزاز، ودراسة Triki Rosenberger

[5] واحد من أكثر الحمى شدة، التي كانت تودي بحياة الكثير من البشر قبل اكتشاف اللقاح، وكان مصدره هو فيروس الجدري. ويمكن الرجوع بخصوصه إلى العديد من الدراسات والمراجع نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

Razes . Traité de la variole et de la rougeole . Traduction française par MM leclerc et Lenoir . Paris ? Balliere . 1866. (extrait de la Gazette Médicale de l'Algérie

J. Ruffié et J . Sournia . les épidémies dans l'histoire de l'homme . Essai d'anthopologie médicale . Flammarion. Paris. 1993.

أما عن هذا الوباء بالمغرب فيمكن الرجوع مثلا إلى :

A. Gambaro. Note sur la famine et l »épidémie de variole à Safi en 1878. In . B ;E ;S ;M ; V15. N° 54. 1952.

F. Weisgeber . Pathologie et thérapeutique marocaines . in R.G.S.P.A. N° 9.15.Mai 1903

Rapport de Dr Mauran sur l'épidémiologie marocaine. In . B. O. du 10Juillet 1914

محمد أمين البزاز ، الجدري، معلمة المغرب، الجزء 9.

ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ط 1، الجزء 5.

[6] وهي مقتبسة من كلمة Palusبمعنى المستنقع، وتسمى في اللغة الايطالية بملاريا من كلمتين Mala ; Aria ومعناهما الهواء الملوث أو الفاسد. أما بخصوص حمى المستنقعات كما عرفتها جريدة السعادة فهي عبارة عن " **مرض خطير يظهر على الانسان بارتفاع درجة حرارته الطبيعية مع الرعدة واشتداد وجع الرأس، وتصبب بالعرق، ووجود التعب في كل حركة. وهو عبارة عن تسلط بعض الميكروبات الاجنبية على دم الانسان تعرف بالهيماتوزوير . أما الوقت الملائم لانتشار هذا الداء، وتمكنه من الأجسام ، فيبتدئ من شهر ماي إلى غاية شهر نونبر...**" جريدة السعادة، بتاريخ 29 ماي 1930،

والمسؤول عن انتقاله هو لسعات البعوض التي تمتص دماء الشخص المريض ولسعها لشخص اخر سليم يجعل لعابها المحمل بالطفيليات ينتقل إليه فيصاب بحمى المستنقعات. وعند اشتدادها تسمى بالحمى السوداء وذلك لكون المريض يضبح له بول بلون شديد السواد، وكانت هذه الحمى شديدة الانتشار بالمناطق المجاورة " للمرجات أو البرك المائية" وكانت الدكتورة Marie Anne Langlaisفي كتابها المعنون ب Prophylaxie du paludisme au Maroc الصادر في العام 1929 قد اعتبرت أن انتشار هذه الحمى بالمغرب هي السبب الذي منع الرومان من الدخول إليه . وفي نفس السياق أشار حسن الوزان (ليون الافريقي) في حديثه عن أهل زواغة غرب منطقة فاس إلى أن الكثيرين منهم وجوههم صفراء ويعانون من العديد من الحمى التي يموت بسببها خلق كثير ، وأشار مارمول كاربخال إلى ما سمي بالحمى الوبائية. عموما لمزيد من التفاصيل بخصوص هذا الموضوع يمكن الرجوع على سبيل المثال إلى :

الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980، الجز 1.

مارمول كاربخال ، افريقيا، ترجمة محمد حجي واخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984، الجزء الأول.

عنوان الرحلة: بالرحلة مع سيدي محمود، مرقون عن المخطوط بالخزانة العامة رقم 4847د، تم إيرادها عند مصطفى بوشعراء، ضمن علاقة المخزن بأحواز سلا، ص 302.

W. Lempriere . voyage dans l'Empire du Maroc et au Royaume de Fès . Paris. 1801.

R. Letourneau. La vie quotidienne à Fès en 1900. Hachette.

Potel et Dicharry . la prophylaxie paludisme dans les troupes du Maroc . B. I. H. M . III Juillet- Septembre .1938.

[7] واحد من أخطر الأمراض المعدية، والمسؤول عن الاصابة به هو دخول بعض اللولبيات إلى جسم الانسان Les tréponèmes وهو من الأمراض الجنسية البالغة الخطورة والمؤثرة على القلب والجهاز العصبي، كما أنه يسبب تشوهات عدة ومن الممكن أن يجعل المرء عقيما، ويمكن أن ينتقل علاوة عن الاتصالات الجنسية المباشرة من الأم إلى رضيعها. وتقول جريدة السعادة في ذلك: " **تنتج عن مرض الزهري قروح وجروح ظاهرية على الجلد وفي الحلق، وحبوب حمراء في البدن والام في الرأس ووجع في المفاصل وانتفاخ في الغدد والغشاء المخاطي وبثور عميقة وانسداد في الشرايين، وتتعطل حركة الأعضاء كلها أو بعضها وتفلج . وتنتج عنه أمراض القلب والسقط عند النساء ... وعوارض شتى عند الاطفال المولودين من المصابين بالزهري أو النوار ...**" مرض الزهري أو النوار، السعادة 23 و 24 يناير 1916.

أما عن أعراضه فيبدأ بظهور قرحة على الأعضاء التناسلية تكون غير مؤلمة، غير أن هناك تورم يصيب الغدد اللمفاوية المحاذية لها، ومع الوقت تختفي تلك القروح ويعتقد المريض أنه شفي تماما، لكن في المرحلة الثانية يبدأ ظهور زوائد صغيرة حول العضو التناسلي، وبعد مرور عامين تظهر أعراض المرحلة الثالثة وهنا تبرز أورام بمختلف أعضاء الجسم، و تظهر المضاعفات الخطيرة .وفي هذه الحالة يمكن أن تتعرض المرأة الحامل للإجهاض، ومن الممكن أن يولد جنينها في حالة استمرار الحمل بتشوهات. وبالنسبة لسبب المرض فقد اكتشف لاحقا في العام 1905 من طرف الألماني شاودين Schaudinn.

ومغربيا يعود تاريخه إلى القرن السادس عشر وذكره الافريقي قائلا: " **وداء الإفرنج (المقصود الزهري) الفظيع بأوجاعه وبثوره وقروحه منتشر كثيرا في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه إلا القليل . حقا إن هذا الداء لا يكاد يعرف في البوادي وجبال الأطلس ... وهذا الداء لم يشاهد قط ولم يذكر حتى اسمه، لكن عندما طرد الدون فيرديناند ملك اسبانيا اليهود من بلاده (العام 1492) جاء كثير منهم إلى بلاد(البربر) ، فظهر فيها هذا الداء، الذي حمله عدد كثير من يهود اسبانيا . وكان لعدد من أشقياء المغاربة اتصال (جنسي) مع نساء هؤلاء اليهود، وهكذا انتشر قليلا في ظرف عشر سنوات حتى لم تعد نسلم منه أي أسرة "** الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، م،س، الجزء الأول، ص 67. وفي نفس السياق أشار البعض إلى أنه دخل إلى البلاد عن طريق الاسبان والبرتغاليين الذي كانوا يقاتلون في الشواطئ المغربية منذ العام 1415، ودخولهم إلى مراكش في العام 1515 جعلهم ينقلون الزهري بشكل كبير إلى هناك .

Lepinay M. E. Evolution de la syphilis indigène marocaine depuis l'application des traitements modernes ? in Maroc- Médical . 15 Dec 1937. P 448.

Voir aussi ; Jean Pierre Bardet et autres . Peur et Terreurs face à la contagion . Fayard . Paris. 1988. P 286.

[8] مرض معدي خطير يعرف عند عموم المغاربة في بعض المناطق ب **" تفورة"**، لا ينتشر بسرعة والمصادر بخصوصه قليلة ،إذ أنه لم يكن يحظى باهتمام الأطباء الفرنسيين، على اعتبار أنه لم يكن في نظرهم يشكل خطرا على جنودهم مثل باقي الأمراض المشار إليها أنفا، وإلى حدود العام 1914 لم يكن يعرف عنه أي شيء، والبحث عنه لم يبدأ إلا في العام 1915، ليتم اكتشافه في سياق ضبط الأحول الصحية للقبائل والدواوير . أنظر:

Dr Martin et Dekester. Contribution à l'étude de la lèpre au Maroc et en particulier dans la région de FES . in A. I. P. A. T. II. N°2. Juin. 1924. P204.

Direction générale des services de santé. Fonctionnement de la santé et de l'Assistance Publiques et Considérations dur les infections les plus fréquemment observées au Maroc au cours de l'année 1916. P80.

[9] هو داء قديم من أهم مسبباته ميكروبات من نوع " العصيات" في القرن التاسع عشر ستزداد المعرفة بهذا المرض بفضل العالمين الفرنسيين لاينيك Laennec (1781-1826) وفيلمان Villemin(1827-1892) وفي العام 1882 العالم كوخ Koch حدد أنواعه في ما هو بشري ينتقل من شخص إلى اخر. ونوع حيواني يوجد في ألبان الأبقار المصابة بالسل وكذلك في لحومها. وعرف عند المغاربة بمرض "الرية" أي مرض "الرئة" وأيضا ب " الضر الكبير والمرض القبيح" . لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع مثلا :

Direction de la santé et de l'hygiène publiques du Maroc . la tuberculose au Maroc . les moyens de s'en préserver et de s'en guérir. Fortin – Moullo. Rabat. Sd. P2.

J. Colombani et J . Lapin . La tuberculose au Maroc . in Maroc Médical. Aout. 1933. P447.

أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، مطلعة فضالة ، 1967، ص ص 14-16.

[10] هو مرض يصيب الملتحمة والقرنية. والفيروس المسبب لهذا المرض هو Rickettsia trachomatis وهو من أقدم الأمراض في المغرب وقد تمت الاشارة إليه في كتب الإخباريين، وورد أيضا عند أبي عبد الله عيشون الشراط أثناء تعرضه لأبي الربيع سليمان، وأشار إليه ليون الافريقي عند أهل سجلماسة ذاكرا أن عيونهم تمرض صيفا . ولمزيد من التفاصيل راجع مثلا:

عثمان الكاديكي، الأمراض المعدية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، دت.

الشراط ، ابن عيشون، الروض العطر الانفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق، زهراء النظام، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط 1، 1997،

الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، الرباط، ط 1، 1982، ج2.

مصطفى بوشعراء، علاقة المخزن بأحواز سلا، قبيلة بني أحسن 1860-1972، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، طَ، 1996

ادريس أبو إدريس، من تاريخ المغرب وحاضرته الاسماعيلية : قصة الهولندية ماريا تير متلن Maria Ter Meetelen ، الاسيرة التي عاشت بمكناس العاصمة في النصف الأول من القرن 18 ، ترجمة ودراسة وتحقيق، المحمدية، 1966.

E. Delanoë. Les bienfaits de l'assistance médicale indigène au vingt- cinq années de Protectorat français au Maroc (Premier mémoire). B.S.P.E. Séance du 10 NOV 1937. N°9. 30 année. PP 818-819.

السنوات الأولى للحماية[11] حيث كانت هذه الأخيرة تعصف بالبلاد على نحو دوري، في مجتمع لم يكن يتوفر على الأدوية ولوازم العلاج، بل إن العيش به كان يتحدد وفقا لتوالي سنوات الوفرة أو السنوات العجاف .[12] وهذا العامل استغلته الادارة الفرنسية جيدا لبسط نفوذها على المجال المغربي.

الأزمة الحالية وفي أقل من شهرين وضعت المغرب كما كل العالم أمام ضعفه وعدم جاهزيته لاستقبال وباء فرض العزل، وأوقف الحركة داخل العالم الاجتماعي **"فرملة الحركة الاجتماعية"La mobilité sociale** خشية لانتقال العدوى واستفحال عدد الاصابات والموت، وفرضت على الدول المسارعة لاتخاذ إجراءات أنهكت الاقتصاد كإغلاق الحدود واختيار العزل الدولي، وعزل المدن عن بعضها، و إنزال الجيش، كما أن هناك من رؤساء الدول من اختاروا كلمة **"حرب" la guerre** لوصف مدى شراسة العدو الجديد.

وقد رافقت هذا السياق محاولات أولية للتحليل و الفهم قادها باحثون من مختلف المشارب العلمية أبرزها علم الاجتماع، إذ على الرغم من الاهتمام الشديد بدور الطب ومختبرات البحوث المخبرية والسريرية لإيجاد للقاح، تحضر العلوم الاجتماعية بشكل بارز، لكون الأمر يهم تغيرا شاملا لنظام العيش والعلاقات الاجتماعية و التمثّلات التي من خلالها يتشكل المجتمع، وكل هذا يندرج تحت مسمى **المعادلة الثقافية للطب والصحة والمرض ضمن الحياة الاجتماعية**. وأمام تزايد هذه الاهتمامات وبما أن التحليل السوسيولوجي يترشح دائما لدراسة ظواهر تحدث في الواقع الاجتماعي ويتوسع في دائرتها ليقدم قراءات ونظريات علمية حول ما حدث، وماذا سيترتب عن هذا الحدث من تداعيات، جاء اختيارنا لموضوع **"الصحة، الفقر والهامش بالمغرب"** للتعرف على التحولات التي تمس الجسم الاجتماعي في زمن الوباء الذي انضاف إلى بؤس الشروط Misère des Conditions التي يعشيها الفرد المغربي بشكل عام حسب تعبير بيير بورديو. وهو موضوع له أهمية قصوى لمجموعة من الأسباب، أبرزها أنه يتناول إشكالية **مجتمع "الهامش أو الانسان المهمش"** الخارج عن المرئية الاجتماعية، الذي يظهر كضحية للعنف الرمزي الذي يمارس عليه من طرف العالم الخارجي، والمقصود به عالمي العمل والاستهلاك كأحد أبرز أوجه الأزمة في اللحظة الاجتماعية الراهنة. وقد وجهت هذه الدراسة إشكالية مركزية، هي: **كيف ينظر الهامش للوباء؟ وكيف يتفاعل مع واقعه الجديد؟ بمعنى التساؤل عن تلك الكيفية التي تعامل بها مجتمع الهامش المضاد للحياة الحضرية العادية[13] في المغرب مع ظرفية الوباء؟ و كيف يمكن اعتبار عدم التقيد بإجراءات الحجر الصحي داخل الأحياء الهشة بمثابة احتجاج ضد نمطية الواقع المعاش؟ وهل كان له من الأدوات المادية والمعنوية ما يحميه ويقيه من تبيعات الأزمة وحرارتها؟ وهل تقبل مجتمع الهامش إملاءات وتوصيات السلطة التنفيذية بنفس قدر مجتمع المركز ؟** وندرك أهمية هذا التساؤل الأخير بالنظر إلى اعتباريته السوسيولوجية والعملية.

E. Delanoë; Etude sur le trachome au Maroc et son traitement . in . B.S. P. E. séance du A3 Janvier. 1926 ; N°1. 1929 ;P50.

[11] D. Rivet. Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912- 1925). Paris. L'Harmattan . 1998; T.2. P 225.

[12] لقد كان ذلك من بين الأمور التي وقف عندها الحسن الوزران أو ليون الافريقي في كتابه " وصف افريقيا" إذ أشار إلى أن بلاد الأمازيغ كانت تجتاحها الأوبئة والمجاعات كل عشر سنوات .

[13] Danilo Martucelli, Forgé par l'épreuve: L'individu dans la France contemporaine, collection Individu et société (Paris: A. Colin, 2006).

وإلقاء الضوء على هذا الجانب في هذا الظرف له أكثر من أهمية على المستويين العلمي والعملي وعلى الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، الشيء الذي يشكل في حد ذاته رهانا علميا بالغ الأهمية. والفكرة الرئيسية لهذا الاسهام هي محاولة إثنوغرافية لتوجيه الاهتمام نحو الهامش وأساسا الجهات التي همشتها مخططات التنمية التي اعتمدتها البلاد منذ فجر الاستقلال، والتي تمثلت استراتيجيتها التخطيطية في سلسلة من المخططات التنموية، ابتداء من المخطط الثلاثي وما تلاه من مخططات رباعية ثم خماسية، إضافة إلى ما سمي بالبرامج الخاصة لبعض المناطق التي كانت تعاني من حالات تأخر أكثر من المعدل الوطني. وكذا الأحياء الشعبية التي تشكل مجالا لفاعلين يعيشون الفقر والاقصاء الاجتماعي كتجربة ومعاناة، وهو ما يتمظهر من خلال ممارساتهم وشعورهم بغياب العدالة والمساواة وعدم الجدوى، كما يتبلور من خلال سلوكاتهم والأشكال الجديدة للروابط الاجتماعية التي يعملون على إعادة بناءها انطلاقا مما يعيشونه من وضعيات متفرقة لعدم اليقين، وكذلك عبر خطاباتهم وتمثلهم لذواتهم كذوات تعيش في **"قاع الهرم الاجتماعي، ثم في قاع المدينة"** حيث تتراكم الاعاقات الاجتماعية في ظل لامرئية اجتماعية[14]، التي تجمع على أنهم لا يوجدون كمعطى أساسي في حسابات واضعي السياسات العمومية الرسمية، ثم من خلال تمثلاتهم للمجتمع والدولة[15].

وصحيح أن وضعيات الهشاشة الاجتماعية و طبيعة الحياة داخل مجالات **المجتمع " الموازي"** و معاناة متساكنيها وفوارق تجربة العيش اليومي في الهامش عن تجربة العيش في باقي السياقات الاجتماعية الأخرى كان يمكن الخوض فيها في أي سياق تاريخي عادي أو استثنائي، غير أنه لهذا المنعطف التاريخي المتسم بوباء كورونا دلالا ت تعتبر غير مسبوقة على الأقل في مغرب الزمن الراهن، وهذا ما جعلنا نهتم بالبحث فيها.

فرضيات الدراسة:

ولما كانت الفرضية من بين الأسس الهامة في الدراسات السوسيولوجية الامبريقية (Empirical vérification)، ولأن دراستنا هذه تأتي في هذا الإطار فقد وضعنا لها فرضيتين أساسية تعتبر كلها بمثابة إطار تنظيمي تتجمع من خلاله المعطيات التي تلامس جوانب الإشكالية التي نحن بصدد معالجتها أولها :

أن المغاربة ونظرا للاختلافات التي تطبع مواقعهم الوظيفية، ومستويات دخلهم فإنهم لم يتعاطوا مع الأزمة الوبائية بنفس الطريقة، ولم يلتزموا بإجراءات الحجر الصحي على نفس النحو والدرجة وهو ما يصلنا يوميا في شكل صور وفيديوهات تنقسم التعليقات حولها، وما نقصده بالمغاربة هو الإشارة إلى مجتمعين مختلفين الأول يضم مغاربة " **المجتمع المندمج"** والثاني يهم **"المجتمع غير المندمج** " أي ما أسميناه بمجتمع الهامش أو الهامشي وفقا لتعبير روبرت بارك، في ظل وضعية تهميش وغياب بديل اقتصادي مقدم من طرف الدولة. هذه الوضعية التي تؤشر حسب Bresson/M أولا على تعدد الوضعيات الاجتماعية التي تشبه الفقر والإقصاء، وثانيا على تمايز وتراتب الوضعيات الاجتماعية، والتي تهم الفقر والإقصاء - مع العلم أن الفقر ليس عبارة عن حالة فقط، بقدر ما هو سيرورة، وثالثا فهي ترمز أو تتضمن نوعا من الشعور بالخطر[16]

[14] Michel de Certeau، L'invention du quotidien، collection Folio، Essais، nov، ed، (Paris. Gallimard .1990).

[15] Guillaume Le Blanc, L'Invisibilité sociale, pratiques théoriques (Paris: Presses universitaires de France, 2009).

[16] Bresson/M.2002 Sociologie de la précarité .p 87. Armand Collin 2012.

أما الفرضية الثانية فتتمحور حول كون المقاربة الأمنية والقانونية الزجرية ثم التقنية التي اعتمدها القائمون على تدبير الشأن العام، لا يمكن بأي حال أن تفصل عن ما هو اجتماعي تركيبي للأزمة الوبائية الصحية، إذ لاحظنا كيف أصبح النقاش محتدما حول قيم التضامن، والمشترك، وحول دور الدولة والأجهزة المرتبطة بها باعتبارها هيئات مركزية وظيفتها الأساسية تحريك عجلة التنمية المحلية وتدبير أولويات المجتمع خاصة فيما يتعلق بالسكن-الصحة-التعليم –الشغل –الدخل ...إلخ تجاه الأوساط المهمشة الذي عاد إلى الواجهة . وبحسب رأي ألفرد شوتس يستطيع الفاعلون الاجتماعيون على غرار السوسيولوجيين بناء معارفهم حول الواقع وإعطاءه تأويلاتهم الخاصة انطلاقا من مخزونهم المعرفي.[17]

من هذا المنطلق النظري تحديدا، سوف نسعى إلى فهم الظاهرة المدروسة من خلال وضعها، إلى جانب ظواهر أخرى، داخل كلية من العلاقات التي تمنحها في الأخير دلالتها النهائية مرتكنين في ذلك إلى طابع نسقي دونما تفتيت الواقع الاجتماعي إلى ظواهر معزولة عن بعضها البعض، والبحث عن العلاقات السببية التي تربط فيما بينها على نحو ميكانيكي، وبهذه الطريقة سوف نتمكن من وضع الظاهرة داخل سيرورة اجتماعية أشمل. وذلك من خلال تجربة الفاعلين أنفسهم باعتبارهم ذوات فاعلة تستطيع إعطاء معنى لوجودها الاجتماعي، في ظل وضعية حرجة تتخللها تبعيات وصعوبات وعوائق. وبالتالي فاستدعاء مجتمع الهامش له ما يبرره عمليا وموضوعيا ،ففهم وتفهم الكثير من الديناميات والأساسيات التي تحدد ملامح المجتمع المغربي يظل محدودا بدون تتبع هذه المكونات وتفكيك مقوماتها بشكل منطقي منهجي، لتفسير الفصول المختلفة لعمق المشهد المغربي باختناقاته ،وأزماته ،وانفراجاته، وصيروراته، وتشخيص وضعياته اللامتناهية .

وبهذا المعنى تغدو حسب بيير بورديو مهنة عالم الاجتماع تناولا علميا للعلاقات الاجتماعية والتمثلات التي يتشكل من خلالها المجتمع. أي أنها الحقل الذي يهتم ويسعى إلى فهم الكيفيات التي يسير وفقا لها، ويتغير كذلك بموجبها الجسد الاجتماعي. وبحسب بورديو Bourdieu دائما، فالمجتمع لا يتمتع أعضاءه بنفس القدر من الرفاه والمواقع الوظيفية والاعتراف والسلطة. وهو ما يؤكده بيير بورديو في تعاطيه مع الحركات الاجتماعية مستثمرا في ذلك إرثه المفاهيمي لمساءلة شروط إنتاجها، بدءا بالهابيتوس مرورا بالحقل والرأسمال والعنف وصولا إلى المثقف الجمعي مستفيدا منها في فهم حركية الحركات الاجتماعية. وفي هذا الإطار يمكن الحديث عن الحركة الاجتماعية كحقل صراعي في مقاومة مستمرة ضد جميع إمكانيات التكريس وإعادة إنتاج القائم من الأوضاع و ضد العولمة والرأسمالية المتوحشة المنبنية أساسا على « قوانين اقتصادية مجحفة تنهج بدورها سياسة تستهدف نزع السياسة من المجتمع، بهدف منح سيطرة مقدرة للقوى الاقتصادية وذلك بتحريرها من كل رقابة ومن كل العوائق، في الوقت الذي يخضع فيه المواطنين والحكومات لسيطرة هذه القوى التي تم سبق تحريرها[18]. » وأهمية "الاجتماعي" تتجلى في كونه يبرز كفضاء للصراع والتنافس حيث يتموقع الأفراد تبعا للرساميل الرمزية والمادية التي راكموها خلال حياتهم، مما يؤدي إلى قيام علاقات للسلطة (مهيمنون/ مهيمن عليهم)، والنتيجة تبلور الحركات الاجتماعية وتنامي أشكال الاحتجاج[19] .

خريطة توضح انتشار وباء التيفوس في العام 1937أحد أبرز الأوبئة التي كانت تودي بحياة المغاربة

[17] Alfred Schütz, Le Chercheur et le quotidien: Phénoménologie des sciences sociales, traduit par Anne Noschis-Gilliéron; postface et choix de textes par Kaj Noschis et Denys de Caprona; préface de Michel Maffesoli, méridiens klincksieck; 3 (Paris: Klincksieck, 2008)

[18] Pierre Bourdieu, **L'essence de néolibéralisme**, le monde diplomatique, mars 1998.p. 3

[19] بيير بورديو، **الخياطة الرفيعة والثقافة الرفيعة**، في تساؤلات الفكر المعاصر، ترجمة: محمد سبيلا، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1987، ص 68

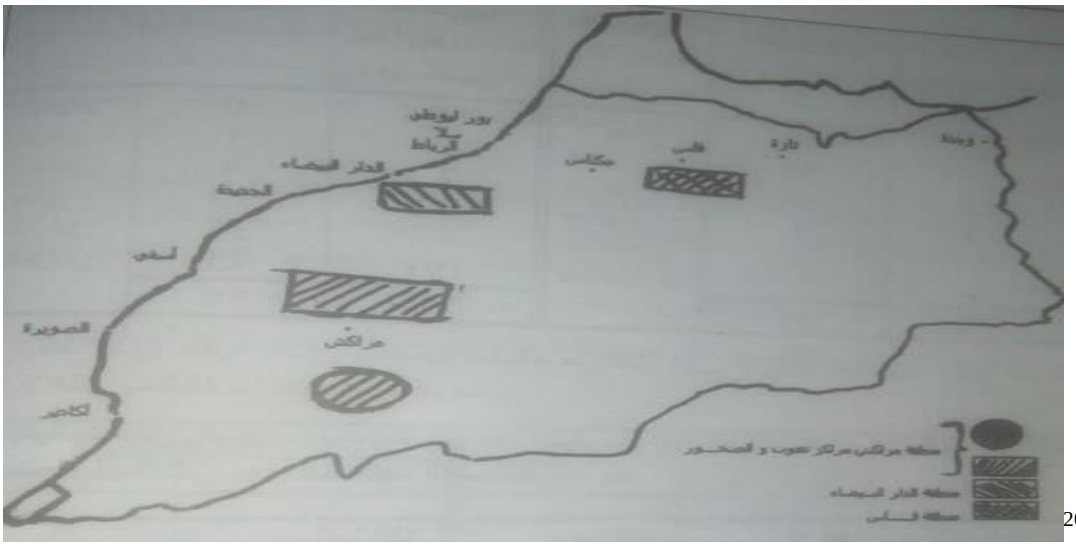

[20]

خريطة لمراكز وباء الطاعون خلال الفترة التاريخية 1929-1930 بمنطقة الشاوية

[20] انظر : بوجمعة رويان ، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، مطابع الرباط نت، 2013، ص 128.

Source ; M. Grand ; l'épidémie de la peste de la région Chaouia . B.I.H.M. Avril 1931/

مواطنين من منطقة الشاوية مصابان بالطاعون

المصدر: A.I.P.M. T. III. Cahier 5. 1945. P150

على مستوى الأمراض:

خريطة توطين لمرض الجذام بالمغرب

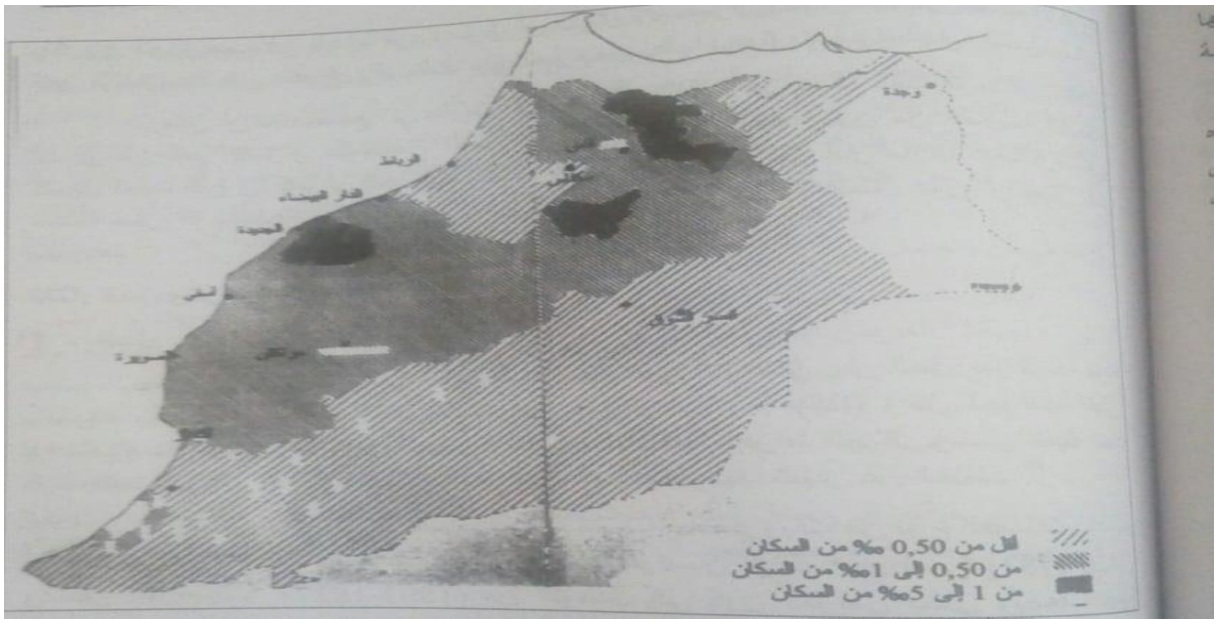

المصدر : B.I.H.M. N° 3-4. P 174

صورة لمواطن مصاب بالجذام في بداية العشرينيات من القرن الماضي – المغرب – فرنسا- ماي 1921.

خريطة توضح انتشار حمى المستنقعات بالمغرب

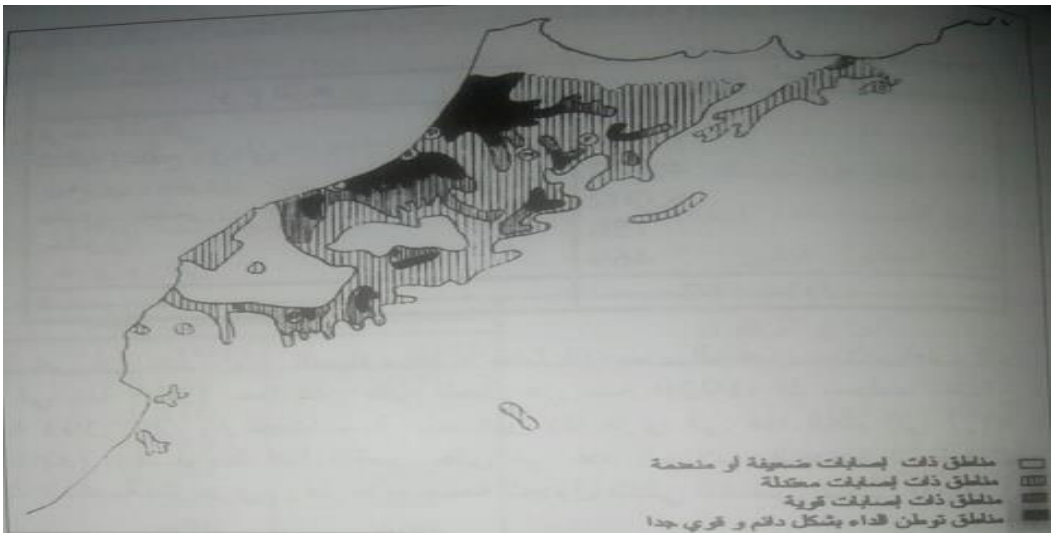

المصدر: M. Bonjean; l'épidémiologie du paludisme au Maroc. P 40

صورة لمصابين بمرض الزهري ، من اكثر الامراض التي كانت انتشارا بالمغرب

المصدر: Maroc Médical. Novembre . 1950

أولا: الاطار النظري والمفاهيمي للدراسة:

للهامش عدة دلالات لغوية ومعاني يتم توظيفها حسب السياق الدارجة فيه، لذا سنقوم بجرد ماله علاقة بموضوع البحث. من الفعل هامش إلى الاسم الهامش، على هامش الأمر: خارجًا عنه أو بمعزل منه، فلانٌ يعيش على الهامش منفرد غير مندمج في المجتمع / مُهْمَل / منعزل. الهمش والهمش: كثرة الكلام.

ويحضر معناه أيضا في المخططات العمرانية التي تتحكم في رسم الحدود بين الشوارع والإجراءات التنظيمية في إطار استراتيجية المركز والهامش، وينسب هذا للتعريف السوسيولوجي لمفهوم الهامش. ومن اللغة إلى المفهوم، ظهر الهامش في الغرب كحركة هامشية عرفها المجتمع الأمريكي في العقد الثالث من القرن العشرين (1920-1930)، حيث اهتم السوسيولوجيين الأمريكيين بمدرسة شيكاغو بالظاهرة الهامشية وتطرقوا لمنطق خطاها ونسق نسيجها. ليظهر توصيف "الإنسان الهامشي" مع عالم الاجتماع روبار بارك (Park Robert) سنة 1928، إذ سابقا لم يكن هذا التوصيف يخرج عن نطاق الاقتصاد، وبفضل نظرية "القيمة التبادلية" أخذ مكانه شيئا فشيئا في باقي الحقول العلمية. في حين فضَّلت العلوم الاجتماعية طويلاً مفاهيم أخرى من قبل الفقر، الأقلية، المنحرف والمقصيِّ والمختلف عبارات متعددة تغطي بطريقة مختلطة ظواهر اجتماعية واقتصادية وحتى مكانية[21].

لتبرز ظاهرة الهامشية من خلال مظهرين، أولها يرتبط بواقع الطبقات الاجتماعية المغتربة البعيدة عن المشاركة الواقعية في المجتمع، والمقصود هنا الهامشية الاجتماعية والاقتصادية التي تعود جذورها إلى بنى الإنتاج والتنظيم الاقتصادي للمجتمع. والمظهر الثاني للهامشية يتجلى من خلال رفض إرادي وجلي للاندماج في المجتمع الذي نلفظه: إنها الهامشية الاجتماعية الثقافية [22].

إن الهامش مفهوم تتقاسمه عدة روابط جدلية، تتطلب استنطاق تفصيلي لمكوناتها، فالفرد يؤثر ويتأثر بما يعتمل في وسطه من أحداث تقدم له اختيارين إما القبول و الانتساب أو الرفض وبالتالي الانسحاب. فالمعطى الاجتماعي يشكل للبعض ضغطا وحاجزا بينه وبين قواسم الحياة المشتركة، ليجعل من العسير الامتثال لثقافية وإيديولوجية الجماعة، الشيء الذي يدفع بالفرد إلى الانزياح عن المجتمع الأصلي الذي ينتمي له ورسم حدود له خارجة عن المركز. و تجدر الاشارة إلى أن مفهوم الهامش يختلف من زمن إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، فهامشية الانسان الغريب ليست نفس هامشية الفرد في مجتمعه الأصلي، فحركية التطور الاقتصادي ونتائجه الطبقية والاجتماعية العمرانية أيضا، تفرض شروطا وإكراهات على الأفراد اللذين يختلفون في طرق تقبلهم أو رفضهم لها بناء على ثقافتهم.

و بعد تحديدات مفهوم الهامش والانسان الهامشي، يمكن رسم الخط الرابط بين مفهوم الهامش وموضوع الدراسة. تعريف مفهوم الهامش إجرائيا هو تتبع لتجربة التهميش والإقصاء الاجتماعي لفئة اجتماعية واسعة من الشعب المغربي في زمن وباء كورونا في مجالات حضرية تتسم بكونها " منفصلة" عن معايير التخطيط العمراني و ذات حدود معينة تستجيب لخطابهم النقدي.

إن المتتبع للشأن المغربي، يلاحظ أن لقضية التنمية أهمية كبرى منذ السنوات الأولى لاستقلال المغرب، والتي استهدفت تحسين مستويات عيش المغاربة في الوسطين الحضري والقروي، وعلى مختلف الأصعدة سواء أكانت اجتماعية، أو

[21] Antoine, S .Bailly, La marginalité, Anales de Géographia de la Universidad Complutense 1995.

[22] La marginalité sociale un réservoir de contestation, les Editions Hurtubise, 1971.

اقتصادية، أو ثقافية إلخ. وكنتيجة حتمية لأربعة وأربعين سنة من الاستعمار كان على المغرب القيام بمجموعة من الإجراءات والإصلاحات على نحو يقطع مع زمن الحماية، لذلك شرع هذا الأخير في تهييئ الأرضية لإعادة بناء نفسه من خلال إنشاء العديد من المؤسسات، وأيضا من خلال مسألة توسيع نشاطات وخدمات الدولة التي أصبحت ذات أولوية قصوى بهدف الاستجابة لحاجيات المواطنين وتحريك عجلة التنمية المحلية.

لكن وبعد مرور نصف قرن على استقلال البلاد، لم تهدآ نهائيا المطالب التنموية والتي برزت ولازالت تبرز من خلال الحركات الاحتجاجية التي تخرج بين الفينة والأخرى والتي تظهر بها الفاعلية الاحتجاجية و الاجتماعية لمجتمع الهامش الذي أصبح مجالا لفرض أولوية الحقوق الاقتصادية و الاجتماعية استنادا إلى وعي متجذر بأن البناء المجتمعي المتوازن لا يمكنه التحقق في ظل استمرارية العصرنة الممركزة **la modernisation centralisée** و المبني أساسا على تمركز البنيات الاقتصادية و الإدارية في مناطق معينة، دون غيرها، مما يشي بأننا إزاء برمجة اقتصادية مرتكزة على نموذج تنموي غير متوازن يعمل على تعزيز تهميش شرائح اجتماعية مهمة ومناطق جغرافية عدة وعزلها عن المشاركة في البناء التنموي، وتوسيع الفوارق الترابية بين الجهات (جهات نامية - وجهات غير نامية) وهو ما يشكل استمرارية لمقاربة التقسيم الذي ورثته الدولة عن الاستعمار الفرنسي(المغرب النافع والمغرب غير النافع) من جهة، وبين المدن والبوادي من جهة أخرى، وبين المدن ومحيطاتها[23] ويساهم في سيادة منطق ثنائي للمجتمع يفرق بين ساكنة الداخل- المركز وبين من هم في الخارج – الهامش الشيء الذي يحيل على فشل كل المبادرات التنموية التي تهدف إلى إعادة التوازن للمجتمع وإدماج الهامش داخله من خلال إطار الجهوية[24] التي تبناها المغرب منذ 1971 من أجل الاصلاح الشامل للأنواع المختلفة للتنظيم والتسيير والتمويل ومأسسة الأنشطة في أفق سعيه للحد من الاختلالات والفوارق الاجتماعية والترابية [25]، وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى تغذية علاقات الصراع بين ساكنة محظوظة وساكنة مقصية و تجذير العوامل الموجبة للاحتجاج، ويؤكد مأزقية الوضع و مآلاته المستقبلية المفتوحة على مزيد من الصراعات و التنافسات التي قد تقود إلى التفكك من جهة، كما وقد تؤدي إلى تحول اجتماعي وسياسي[26]. ومن جهة أخرى تشي بأزمة في المشروعيات التي من خلالها وعبرها يبرر المجتمع وجوده، خاصة على مستوى النظرة العامة للوجود حيث يتخذ مفهوما العدالة واللامساواة دلالتهما في علاقتهما بالإسهام أو عدمه في إنتاج الثروة من جهة وامتلاكها من جهة أخرى، ذلك أن اللامساواة والاستغلال

[23]De Mas Paolo :« Marges marocaines ،Limites de la coopération au développement dans une région périphérique :le cas du Rif » ،NUFFIL /IMWOO/Projet REMPLOD،La Haye ،1978 p71

[24] تهدف هذه الأخيرة إلى غرض أساسي يتمثل في الحد من الاختلالات والفوارق الجهوية، ومن تم تحقيق نمو اقتصادي متوازن لمجموع جهات ومناطق البلاد .

[25] Amina Touzani ; La politique culturelle au Maroc. Editions la croisée ; Editions la croisée des chemains . Casablanca 2016. P 171

[26] آفاق سوسيولوجية- حوليات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية الهشاشة والسياسات الاجتماعية، تنسيق محمد عبابو و عبد الرحمان المالكي منشورات جامعية سيدي محمد بن عبد الله – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز- فاس، 2017، ، ص 30

وغيرها هي عبارة عن ظواهر اجتماعية مجردة يحياها الأفراد بمشاعر فردية كالإحباط والشعور بالحيف.[27] وباعتبارها علامة سوسيولوجية لعوالم "البؤس"[28] بتعبير بيير بورديو.

وعليه، فاختيارنا لتسليط الضوء على "مجتمع الهامش " أو الأفراد المهمشين"[29] هو محاولة منا لإخراج أولئك الذين ترفض سلطة المهيمنين أن تراهم، إلى المرئية الاجتماعية بما يعطي الامكانية لمساءلة البناء الاجتماعي، كاعتراض على تلك الهيمنة التي تخفي وجهة نظر اللامرئيين les invisibles الاجتماعيين وتعمل على إزاحتهم من الدائرة الاجتماعية ثم من الوحدة الوظيفية للكلّ الاجتماعي، بينما هم في المقابل لا ينفكون يعبرون عن رغبتهم في الإسهام في تدبير "المدينة"؛ وهو ما تحدثت عنه عالمة الاجتماع الفرنسية سيبرين أفونيل[30]، مادام ذلك هو الالية الوحيدة للتذكير بضرورة التعامل مع كل أفراد المجتمع على نفس النحو، وتلبية حاجيات جميع أعضائه، ومادام كل مجتمع ينتهي بطبعه إلى إنتاج مهمشيه ومنبوذيه. وهذه هي الغاية الأولى لمقتربنا التحليلي هذا الذي يطمح إلى نزع الوصمة السلبية التي تلصق ببيئة المهمشين والتي ليست في نهاية المطاف سوى محصلة للمكانة الدنيا التي يخصصها لهم المجتمع [31] ليس لأنهم لا يهتمون بقيم المجتمع الكلي، بل لأنهم " محرومون من الدخل القار، ومن السلطة، ومن التعليم...لذا يحكم عليهم ولأمد بعيد بالعيش في إطار ثقافي على حافة الاقصاء الاقتصادي"[32]

ويتأسس التحليل في هذا البحث على المقاربة السوسيولوجية نظرا لما توفره من تراكم علمي لافت في دراسة " الإنسان الهامشي" الذي ظهر كما أشرنا سابقا مع روبرت بارك، وهو النموذج الذي تحيل فيه الصورة الاجتماعية لهذا الأخير على مجال الهشاشة الاجتماعية والفكر الهامشي الذي يستبطن المجتمع لا جدواه وعدم فعاليته.[33]

وإذا ما حاولنا الرجوع إلى علوم الصحة، نجد أن أعمال ريفرز تذكرنا بكون الأنثروبولوجيا كانت سباقة إلى الخوض في دراسة المرض والصحة، وعلاقتهما بثقافة المجتمع، أي بالنماذج الثقافية، والأنماط الاجتماعية السائدة في المجتمع. من خلال الاهتمام بأنظمة الطب السحري، وسبل فهم المعتقدات المفسرة له، حيث قام بدور الطبيب و الأنثروبولوجي في الوقت نفسه، فتناول بشكل أساسي الممارسات الطبية والعلاجية كنسق ثقافي إذ يكون للمعتقدات الشعبية والطقوس والرموز أثر على الحالة الصحية للفرد. ينضاف إليه مارسيل موس من خلال اهتماماته بالجسد والسحر والدين والموت في مجتمعات مثل أستراليا ونيوزلندا . فضلا عن إيفانز بريتشارد الذي همت أبحاثه طرق العلاج والتداوي بالمجتمعات البدائية. كما كان

---

[27] Vincent de Gauléjac et Isabel Taboada Léonetti, La Lutte des places: Insertion et désinsertion, avec la collab. de Frédéric Blondel et de Dominique-Marie Boullier, re-connaissances (Marseille: Hommes et perspectives; Paris: Desclée de Brouwer, 1994), p. 184

[28] Pierre Rosanvallon, La Nouvelle question sociale: Repenser l'Etat-providence (Paris: Ed. du Seuil, 1995), p. 28

[29] أنظر: عبد القادر القصير، **أحياء الصفيح، دراسة ميدانية لعلم الاجتماع الحضري، مثال المجتمع المغربي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص24-25.

[30] cyprien Avenel, Sociologie des «quartiers sensibles», sous la direction de François de Singly, 128.

[31] S. Paugam. La disqualification sociale . (essai sur la nouvelle pauvreté.) Ed . Puf. Paris. 1991. PP 18-23.

[32] Ibid. P 21.

[33] M. Agier. Pauvreté . culture et exclusion ; la question du sens en anthropologie urbaine. In ; E ; Le Bris (Coord. Par) Villes du sud ; Sur la route d'Istamboul. IRD. Editions.

لأعمال مارك أوجي أهمية قصوى في مجال الصحة والمرض، من خلال تناوله الإبستيمولوجي لمفهوم "الانثروبولوجيا الطبية" [34]

وعلى المستوى السوسيولوجي، فكما هو معلوم لقد ظهرت منذ تسعينيات القرن الماضي عدة أفكار حول الصحة والمرض، الأمر الذي أدى إلى نشأة علم الاجتماع الصحي، فأصبحت الصحة بذلك بمثابة علم اجتماعي[35] وأظهرت المرض كمنتوج اجتماعي[36]. ويعتبر تالكوت بارسونز من أوائل الباحثين السوسيولوجيين الذين قدموا فهما سوسيولوجيا للمرض من خلال كتابه " **النظام الاجتماعي**"[37] ثم ماتلاه من باحثين مثل روني فوكس – هوارد بيكر- روبيرت كينغ ميرتون- إرفينغ كوفمان- أنسليم ستراوس- إليوت فريدسون ...[38]

ثانيا: المدخل المنهجي للدراسة :

إن سعينا للولوج للعالم الاجتماعي لمجتمع الهامش وفهم الواقع الاجتماعي بالاستناد إلى تمثّلات الفاعلين وخطابهم وسلوكاتهم في بيئتهم الخاصة فرض اعتماد الدراسة على المقاربة الكيفية التي تعرف بأنها «طريقة لوصف الظاهرة المدروسة من خلال جمع البيانات والحقائق حولها، وتصنيف هذه الحقائق وتلك البيانات وتحليلها وتفسيرها ودلالتها وتحديدها للصورة التي هي عليها كماً وكيفاً بهدف بالوصول إلى نتائج نهائية التي يمكن تعميمها[39]. » ، وكما هو معلوم إن هذا تمشي المنهجي الإتنوغرافي الهادف إلى تأويل وفهم العالم الاجتماعي للأفراد الذين يعيشون تجربة العيش في "الهامش" كتجربة يسودها الإحساس باللامساواة، قد تعزز في وقت سابق مع مدرسة شيكاغو حينما جعل روادها واقع وثقافة الأحياء الشعبية بالمدن الأمريكية موضوعا لتفكيرهم وأبحاثهم، معتمدين في ذلك على العديد من التقنيات والأدوات لجمع المعطيات. كما تم الاعتماد في جزء كبير من هذا العمل على المنهج الفيبيري لأن واحدا من أهم أهدافنا هو محاولة فهم تمثلات فئات الهامش لواقع فرضه الوباء وربطه بأشكال التعاطي معه. ولكون دراستنا هذه تنجز في سياق استثنائي، وظرفية حساسة تعيشها البلاد بعد انتشار وباء كورونا وتصاعد الأرقام وفرض حالة الطوارئ الصحية، فقد اعتمدنا في جمع معطياتنا التحليلية على تقنية المقابلة نصف الموجهة، سعينا من خلالها إلى اقتحام المحيط الاجتماعي للفرد "الهامشي". وغني عن البيان أن المقابلة في عصرنا الحالي تعتبر من الأدوات المهمة في البحث العلمي، كما أنها تعد من الأساليب الشائعة الاستعمال في البحوث الميدانية لكونها تحقق أكثر من غرض في نفس الباحث. وتعرف بأنها: « عملية تقصي علمي تقوم على مسعى اتصالي كلامي من أجل الحصول على بيانات لها علاقة بهدف البحث[40]» وكانت كل مقابلة

---

[34] Fainzang Sylvie. La maladie . un objet pour l'anthropologie sociale. 2000. Marc Augé. Ethnologue et anthropologue français.

[35] ولكنسون رتشارد ، المجتمعات غير الصحية، علل عدم المساواة، ترجمة محمد منير الاصبحي، مركز البحوث، 2003، ص 27.

[36] يوسف سعدون، من سوسيولوجيا الطب إلى سوسيولوجيا الصحة، الصحة والمجتمع، مجلة الأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية، الجزائر، عدد 4، ماي ،2009.

[37] راجع: محمد عبابو، سوسيولوجيا ، مقاربات نظرية، فاس، الطبعة الأولى، 2015، ص22.

[38] Voir par ex ; Philippe Adam et claudine Herzlich. Sociologie de la maladie et de la médecine ? Nathan. Paris. 1994.

[39] عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات: : **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، الطبعة السادسة ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص139

[40] سعيد سبعون، حفصة جرادي: الدليل المنهجي، دار القصبة للنشر ،الجزائر، 2012 ،ص 1.

تستغرق ما بين عشرين وأربعين دقيقة من الوقت، مع بعض الاستثناءات القليلة. وقد أملت علينا الحاجة المنهجية تبني نموذج تحليل المحتوى لتفسير حاصل المقابلات.

ولأننا نعيش الظروف الصحية المذكورة كان من المستحيل إنجاز مقابلات على نحو مباشر، لذلك لم يكن اتصالنا بالمبحوثين مباشرا، إذ كان تواصلنا معتمدا على وساطة مواقع التواصل الاجتماعي وإجراء اتصالات هاتفية، وذلك في ظل حرصنا الشديد على ضرورة تنزيل هذه المساهمة العلمية، منفتحين بذلك على تقنية اعتمدها طويلا الباحثون بعلم النفس، على أمل إنجاز بحوث ميدانية في القريب العاجل في ظروف الاشتغال العادية والمتعارف عليها وفق ما تمليه مقتضيات البحث السوسيولوجي. بيد أن انفتاحنا هذا الذي لم نجد مناصا عنه لا ينفي إدراكنا لمحدودية هذا التمشي المنهجي – على الأقل من الناحية السوسيولوجية- حيث تغيب "العلاقة التفاعلية" مع المستجوبين، التي تطال التفاعل معهم ومع انفعالاتهم ومع لغتهم الجسدية وطرقهم في التعبير عن الصعوبات التي يعيشونها. وقد حاولنا تدارك هذا النقص وتنويع المعطيات التي يمكن تحليلها عبر الاتصال ببعض المستجوبين أكثر من مرة من أجل تدقيق بعض النقط، كما أننا عززنا عدتنا المنهجية بعنصر الملاحظة من خلال تتبعنا لنشاط المستجوبين على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى جانب ما وفرته لنا المواد الإعلامية من معطيات وتصريحات وأراء شديدة الارتباط بموضوعنا. فضلا عن ذلك حاولنا استثمار تجربتنا الشخصية ومشاركتنا في العديد من المحطات الاحتجاجية، ومعرفتنا القريبة بمجتمع " الهامش" [41]من أجل من تنزيل هذه الدراسة في سياق أوسع وفهم أكثر عمقا لانعكاسات تفشي الوباء العالمي كوفيد 19 على الانسان القابع في وضعية الهشاشة الاجتماعية التي تزداد حدة وتفاقما، في ظل سياق يعرف بتراجع الدولة[42] المستمر على القيام بوظيفتها السابقة كراع للاقتصاد الوطني. اتصالا بذات السياق قمنا بالاستفادة من الأدبيات و التقارير والاحصائيات التي تخص الانشغال العام بقضية التنمية والمسألة الاجتماعية في المغرب بشكل عام التي أصبحت مرتكزة شيئا فشيئا على صراعات جديدة تتأسس أساسا على القدرة على تحقيق الاندماج والخوف من الإقصاء[43].

وعلى الرغم من التنوع المصدري الذي راهنا على استثماره في هذه الدراسة، فإن هذا لا يعني، أنه مكننا من الاحاطة بكل تفاصيلها وحيثياتها، بل إن مقاربة بعض الأفكار ظل معلقا ورهينا بما قد تكشف عنه الأيام من مستجدات، لذا فكل ما حاولنا القيام به هو المساهمة في فهم موضوع راهني ندرك تمام الادراك مدى حجم تداعياته التي لابد من خوض البحث فيها بعد عودة الحياة إلى طبيعتها.

وتركزت محاور المقابلة نصف الموجهة على تناول السياق الذي فرضه وباء كورونا في إطار تجربة الفاعلين الذين يواجهون في جلهم مشاكل البطالة والهشاشة الاقتصادية، ويشتركون في المسارات الحياتية نفسها، وتناول أثار الظرفية النفسية والاجتماعية والاقتصادية على سير حياتهم اليومية، دون إغفال تمثلاهم للدولة والمجتمع انطلاقا من تجربتهم الخاصة، ومن منطلق الفئة الاجتماعية التي ينتمون لها .

---

[41] تشتغل الباحثة حاليا على أطروحة للدكتوراه حول موضوع : **"السياسة الاجتماعية والاقتصادية الرسمية بالريف المغربي : واقعها وأفاقها : دراسة ميدانية لإقليم الحسيمة ".**

[42]لمزيد من التفاصيل بخصوص مفهوم الدولة راجع : عبد الله العروي، مفهوم الدولة، الطبعة الخامسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
S.N. Eisenstadt . Analyse comparée de la formation de l'Etat selon le contexte historique. In Revue internationale des sciences sociales. N° 153. Septembre 1997. P P 7- 676.

[43] Danilo Martuccelli , Grammaires de l' individu . folio . Essais ،407 (Paris :Gallimard،2002)،p347

أما فيما يخص اختيار العينة التي تكونت من 50 شخصا، موزعين حسب الجنس على 17 إناث، و33 ذكور، فهي الأخرى لم ترتبط بحدود مكانية معينة، بل تقوم أساسا على تمثيل جزئي اختياري لتعبيرات الهامش من خلال استجواب مبحوثين يعيشون بأحياء صفيحية في مدن كبرى متفرقة، وفي مناطق نائية تفتقر لمختلف البنى والموارد والتجهيزات، إلى جانب المستجوبين الذين يشتغلون بالقطاع غير المهيكل، وأولئك الذين كانوا يوفرون قوتهم اليومي من خلال **"الترميق المهني "** (bricolage)حيث يتداخل عامل البطالة بالحاجة المهنية، أي أولئك الذين انضاف الوباء إلى معاناتهم غير الهيكلية، وكذا فئة المعطلين، وسكان الأحياء الشعبية بالعاصمة الرباط (حي الفرح- حي أبي رقراق – حي الانبعاث- التقدم ...إلخ). فالمدينة رغم أنها المجال " الأفضل " للعيش كما ذكر عند ابن خلدون وغيره من الفلاسفة والمفكرين ممن اهتموا بالظاهرة الحضرية، إلا أنها نفس المجال الذي ينتج مختلف مظاهر الانحراف والجريمة وباقي الاختلالات المجالية والثقافية أيضا وهو ما يسميه رواد مدرسة شيكاغو **" بسوء التنظيم الاجتماعي" Désorganisation sociale** . لتكون بذلك الأحياء الشعبية وغيرها من مجالات الهامش المدروسة هي ما سيسمح لنا بملامسة العلاقة بين المجالي والاجتماعي والثقافي والصحي. هذا الأمر حذا أيضا بالسوسيولوجي الاسباني مانويل كاستيزManuel Castells في دراسة قام بها حول تجمعات المواطنين الإسبانيين بمدريد ما بين 1960-1970 في كتابه " الانتفاضات الحضرية والسلطة السياسية على الاقرار بأن "، المدينة هي الفضاء الاجتماعي الذي يمثل تناقضات الرأسمالية ويفرز «شكل جديد من أشكال الصراع الاجتماعي المرتبط بالتنظيم الاجتماعي لنمط الحياة [44]». ويعتبر الباحث أن نضالات الحركات الحضرية المرتبطة برهانات الاستهلاك الجماعي في المدينة هي مصدر التغيير والابتكار الاجتماعي الذي يصبح أحيانا الهدف المحوري للحركات الاجتماعية بغرض الطعن في النظام الاجتماعي.[45]

إن دراستنا " لمجتمع الهامش" من خلال هذا العمل السوسيولوجي، يعني صراحة أو بشكل ضمني وجود علاقة وطيدة ما بين وسط أو مجال معين هو (مجال الهامش أو مجال المهمشين) وبين نمط عيش، وأنماط سلوك، وقيم معينة، يسميها علماء الاجتماع بثقافة المجتمعات الموازية وغير المندمجة حيث تحضر جميع العناصر الرثة المعدمة بشكل تام تضم المعطلين، حراس السيارات- بائعي البضائع بالتجوال- مستخدمي المقاهي في الأحياء الهامشية، ذوي الدخل المحدود، والمشتغلين بالاقتصاد اللاشكلي والقطاعات غير المهيكلة- والمتسولين – والفقراء الجدد- و الأطفال الذين انقطعوا عن الدراسة في وقت مبكر أو الذين أحبروا على تركها إلى جانب ذويهم ... إلخ، أي الطبقة التحتية(Underclass[46]) لتكون بذلك ثقافة المجتمع الموازي بمثابة ثقافة تخص الهامش، وهي ذات عناصر مشتركة بين المهمشين أينما وجدوا، تمثل أسلوبا مستقلا في العيش ذي خصائص مشتركة، وفي نفس الوقت تمثل ثقافة فرعية داخل إطار ثقافي كبير ما يجعلها ثقافة ببعدين: تكيف ورد فعل Adaptation et réaction للمهمشين تجاه وضعيتهم الهامشية ضمن مجتمع تسوده تراتبية طبقية، وكذلك الفردانية والرأسمالية في أبرز مظاهرهما وتجلياتهما. [47] من دون أن يعني ذلك أن هذه الثقافة ذات القيم المختلفة عن باقي

---

[44] Manuel Castells(1973), **Luttes urbaines et pouvoir politique**, Paris, Librairie Maspero , p 12

[45]Ibid., p 129

[46] N. Duvoux ; Repenser la culture de la pauvreté. In ; www . la vie des idées. Fr.

[47] سبق للأنثروبولوجي الأمريكي أوسكار لويس O. Lewis أن استخدم مفهوم " ثقافة الفقر" في سياق اشتغاله على الأحياء الهامشية في نيويورك، وغيرها من أحياء مدن أمريكا اللاتينية. ليقترح بذلك هذا المفهوم في دراسته الأنثروبولوجية الأولى في العام 1959، التي سميت ب **"خمس عائلات مكسيكية"** وهي عائلات مختلفة على مستوى الفقر وعلى مستوى خلفيتها الاجتماعية والاقتصادية، وقد عمل أوسكار لويس على تتبع علاقاتها التفاعلية وأنشطتها الاجتماعية والاقتصادية. ولاحقا وفي العام 1961 سيعيد تكرار نفس المفهوم في كتابه **" أطفال سانشيز" Les**

قيم المجتمع الكلي أنها تنطوي فقط على مظاهر سوء" التنظيم الاجتماعي" [48] بل هناك من رأى فيها أنها لا تمت بصلة لسوء التنظيم الاجتماعي، وأن بها الكثير من الجوانب الايجابية مثل التضامن الاجتماعي [49] وأن أغلبية السمات التي صورها البعض على أنها خصائص ثقافة الهامش هي في الحقيقة تأقلم مع خصاص الموارد، ومع الوضعية الاجتماعية المتدنية، والعجز الذي يشعر به المهمشون، فلو تغيرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية الرثة لهذا المهمش فإنه من دون شك سيتخلى وبشكل عفوي عن الممارسات التي كان يلجأ إليها لمواجهة وضعية الهشاشة التي يوجد عليها ويعيشون كتجربة ومحنة[50].لذا يجب ترك فكرة تفسير الهامشية بالنقص الفردي، وعدم الفعالية، أو ربطها بخصائص ثقافية معينة، لأن ما يبقى هو البنية الاجتماعية. وإذا كانت خدمات الدولة وثرواتها توزع بشكل غير متكافئ يمكن البعض من الحصول على النصيب الأوفر، بينما لا يتحصل البعض الاخر إلا على الفتات، فسينشأ ما يسميه جون لابانس بالاستمرارية (un continuum - Suite d'éléments que l'on peut envisager de façon continue, sans rupture.) في مستويات تؤدي في نفس الوقت إلى الغنى الفاحش مقابل البؤس الكلي[51]. وهكذا يتضح أن مجتمع الهامش مرتبط بهشاشة وبؤس اجتماعيين La Vulnérabilité الشيء الذي يفرض علينا الحديث عن دور الدولة الاجتماعية التي تنطبق عليها سمات دولة العناية- الراعية/ الحامية Etat – providence التي تمسس سياساتها وبرامجها مصالح المواطنين بشكل جماعي، وتضمن لهم المقومات الدنيا للعيش الكريم، وتعبر عن نبض المجتمع، وتتوفر على مشاريع واضحة، هدفها توجيه الحركية الاجتماعية وتوسيع نطاقها. إذ لا يمكن فهم تذمر الفئات المتوسطة والفقيرة من "برامج التنمية" إلا من خلال

---

enfants de Sanchez ، وفيه قام بدراسة حياة واحدة من تلك الأسر في فترة زمنية معقولة. وبعدها في العام 1965 سيعمل على تطوير المفهوم أكثر من خلال كتاب" **لافيدا La Vida**" وبه يتتبع حياة أسرة بورتوريكية بمنطقتها الأصلية ببلدة سان خوان ببورتوريكو، ثم بعدها يلاحقها عند هجرتها ليتتبع حياتها بمدينة نيويورك.

O. Lewis . les enfants de Sanchez . auto- biographie d'une famille mexicaine. Traduit de l'anglais par Celine Zins. Ed. Gallimard.Paris. 1963. Pour la traduction française.

O.Lewis. La vida (une famille portoricaine dans une culture de pauvreté). P 802. Cité in ; Paugam. La disqualification sociale (Essai sur la nouvelle pauvreté). Ed. PUF. Paris. 1991.

بالنسبة لخصائص ثقافة الفقر كما وضعها لويس أوسكار فإنها تتشكل بحسبه في سياقات تاريخية معينة، مثلا عند انهيار نسق اجتماعي طبقي، أو في المرحلة الانتقالية بينه وبين نسق اخر – أي مرحلة استبداله- كمثال عند الانتقال من النظام الفيودالي إلى الرأسمالي أو عند الثورة الصناعية . ووفقا لما جاء به أوسكار في كتابه " أطفال شانشيز" فيمكن أن ينشأ كذلك عند حدوث غزو أجنبي استعماري يتم فيه جعل المهزومين خاضعين والحكم عليهم بالبقاء في وضعية عبودية يمكن استمرارها لوقت طويل وانتقالها لأجيال متتالية. نفس الشيء ينطبق على سياق القضاء على القبيلة إذ من الممكن أن تظهر الثقافة المذكورة هاهنا كما هو الحال في افريقيا ، لذلك تجد أن المهاجرين من القبيلة إلى المدينة يعيشون ضمن ثقافة تكون أقرب إلى ثقافة الأكواخ في مكسيكو.، حالة الاكواخ هذه ليست حالة مؤقتة أو انتقالية كنتاج لتطور ثقافي عسير، بل إن ثقافة الفقراء كما يقول هي غالبا تكون ثقافة قارة، حتى لو كان الأمر يهم أنساقا اجتماعية قارة. (O. Lewis . les enfants de Sanchez. Op. cit. PP 31. 32.

[48] محمد الجوهري ، د علياء شكري، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعارف، القاهرة، 1980، القسم الثالث الانثروبولوجيا الحضرية، ص 480.

[49] M.Roncayolo. la ville et ses territoires . Ed. Gallimard. 1997.P86.

[50] Danilo Martuccelli, «La sociologie aux temps de l'individu,» Revue Interrogation?, no. 5: L'Individualité, objet problématique des sciences humaines et sociales (Décembre 2007) . sur ;www revue-interrogation.org /la sociologie-au-temps-de l'individu>.

[51] J. Labbens. Sociologie de la pauvreté . Ed. Gallimard. Paris. P167

ربطها بتراجع ايديولوجية دولة الرعاية الاجتماعية. لاسيما وأن أساس مشروعية الدولة اليوم أصبح رهينا بالأساس بالقدرة على معالجة القضايا التي تهدد بنسف السلم الاجتماعي والعيش المشترك من قبيل البطالة وفقر الفئات المسحوقة وهشاشة أوضاعها ... الخ، خاصة وأن هذا العجز أصبح يهم اندحار فئات عريضة من الطبقات الوسطى التي باتت أجزاءها السفلى وحتى المتوسطة تتجه شيئا فشيئا نحو الفقر في ظل ارتفاع منسوب انسداد آفاق المستقبل أمام شرائح عريضة من المجتمع، وخاصة الشباب. وبالمقابل بروز مظاهر الاغتناء المبالغ فيه لنخب اقتصادية واجتماعية فاقدة للمشروعية الاجتماعية والتاريخية.

و عودة إلى السياق المنهجي نشير إلى أن حجم العينة ليس كافيا للإحاطة بالجوانب المختلفة لموضوع الدراسة، لكنه يعتبر نافذة بحثية أولية لأفق علمي سيكون من دون شك مثار تناول بحثي لاحقا.

1- : أركيولوجيا مجتمع الهامش في العاصمة الرباط:

يعتبر المجال بمثابة مرآة تنعكس عليها التغيرات التي تجري في المجتمع، ولأنه يبنى اجتماعيا، ولكون العلاقات الاجتماعية تعبر عن نفسها في هذا المجال[52]، يحضر في الدراسات السوسيولوجية المغربية مجال الهامش بشكل كبير ضمن انشغالات الباحثين، لاسيما بعد تصاعد المد الاحتجاجي بالمغرب، والدور الذي لعبه الهامش في هذا التصاعد الذي لم يكتف بتوقيع حراك مجالي "بارد" بل كان دائما في قلب مختلف الحركات ذات الحمولات السياسية والاجتماعية والثقافية. وفي مراحل سابقة كان الهامش موضوع اهتمامات سوسيولوجيا التطرف والعنف[53] والانخراط في الحركات الجهادية المعولمة التي أصبحت عاملا قويا من عوامل التماسك الاجتماعي، وذلك بعدما تفككت الأشكال التقليدية للتماسك الاجتماعي، وتخلت الدولة، تحت ضغط العولمة، عن نهج سياسة اجتماعية وتراجع عالم الشغل عن دوره الكامن في خلق هوية جماعية[54] ومن تم بداية البحث حسب ميشيل باسان (Michel Bassand) عن أشكال أخرى من الحياة الاجتماعية والجماعية، إضافة إلى سوسيولوجيا الهجرة- و سوسيولوجيا الفن التي ركزت على الراب والغرافيتي و فن الراي على اعتبار أن الفن كان رد فعلٍ تلقائي ومستمر جاءت بداياته ضد المخططات الاستعمارية السابقة، كالظهير البربري، وواجه الفن أيضا سلطات الحماية الفرنسية والإسبانية بأسلوب سلمي ركز على دعوةِ الفرد المغربي إلى مواجهة الاحتلال الأجنبي، لذلك فالعديد من النصوص الغنائية دعت إلى الانتماء الجماعي بمختلف روافده، واحتجت في فترة السيبة وصراع القبائل فيما بينها من جهة وبينها وبين المخزن [55]من جهة أخرى، ظروف أجيال وأوضاع لامتناهية كانت محور اهتمام

[52] بيير بورديو، الخياطة الرفيعة والثقافة الرفيعة، ضمن: مجموعة من الباحثين، تساؤلات الفكر المعاصر، ترجمة: محمد سبيلا، منشورات الزمن، سلسلة ضفاف، الرباط، الطبعة الاولى، 2009، ص 25.

[53] دائرة العنف سواء منها الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية أو الرياضية، وكل ما يهم اليوم الابتعاد عن المعايير الاجتماعية والأخلاقية، وهو ما يتم استغلاله لتكريس الهاجس الأمني.

[54] Max Weber, Economie et société, tome 1: Les Catégories de la sociologie, traduit de l'allemand par Julien Freund [et al.]; sous la direction de Jacques Chavy et d'Eric de Dampierre, Agora. Les Classiques; 171(Paris: Pocket, 2003)

[55] لمعرفة المزيد عن مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب يمكن الرجوع على سبيل المثال إلى :

H/ Gaillard. Le makhzen . étendue et limites de son pouvoir. In Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord. 1909. Pp 9-348

Edouard Michaux-Bellaire . L'administration au Maroc . in Bulletin de la société de géographie d'Alger . 1999. PP 37-401.

التعبير الفني المغربي[56]. وما يستفاد من هذا الانشغال هو اعتراف ضمني بأن فهم هذا الجزء من المجتمع محدد أساسي في تصور و وضع السياسات العمومية المتعلقة بالقضايا الحضرية والاجتماعية.

و عموما تتجلى فعالية المفاهيم السوسيولوجية في أجرأتها من أجل الوصول إلى عمق الميدان، ومختلف سيرورات الواقع الاجتماعي، وإذا ما حاولنا أجرأة مفهوم الهامش جغرافيا، فسنحدده في المناطق القروية وشبه الحضرية حيث ترتفع بشكل كبير مؤشرات الفقر وتعيش الفئات المهمشة الكثيرة التي أقصيت من مسلسل التنمية ومن الادماج. يتعلق الأمر بمجالات لا توجد كمعطى أساسي في حسابات المهندسين الرسميين لتوزيع المجال كما يقول أحد الباحثين[57] بمجالات تخص **"الفئات المنتحرة طبقيا"** باعتبارها مجالات تأوي من لا يملكون وسائل الإنتاج والإكراه [58]. ويهم المفهوم كذلك الأحياء الشعبية المنتشرة بالمدن الكبرى ونخص بذلك الرباط العاصمة، هذه الأحياء التي تعتبر بمثابة "ملجأ" الفئات التي أجبرت على ترك أريافها غداة الاستقلال، بسبب التفقير الذي طالها منذ الفترة الاستعمارية ،لتظل على هامش "المجتمع الحضري " بأحياء تتسم بكونها "منفصلة" عن معايير التخطيط العمراني تتراكم فيها الإعاقات الاجتماعية. وتشمل دلالة الهامش أيضا الفئات الهشة (المعطلين – المياومين – العمال ذوي الدخل المتدني ... الخ)

كما يشكل الهامش بصورة عامة مجالا لبسط الدولة سلطتها على نحو لطالما كان معمولا به في المغرب عبر مختلف السياسات الأمنية التي تشدد الرقابة كثيرا على هذا المجال من أجل إجهاض واحتواء جميع الأشكال الاحتجاجية، وهو

A.Reynier. l'ancien maghzen. 1550-1912. Conférence donnée par M. le Controleur civil Reynier pour la Direction générale des affaires indigènes. Rabat. Publications de la résidence générale de France au Maroc.

مصطفى بوشعراء، علاقة المخزن بأحواز سلا ، قبيلة بني احسن 1860-1912، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات ، رقم 19، الطبعة الاولى، 1996.

انظر : A. Laroui . Histoire du Maghreb . un essai de synthèse . paris 1970. G. Ayache. Etudes d'histoire marocaine . Rabat . 1979. G. Ayache . la fonction d'arbitrage du makhzen . in recherches récentes sur le Maroc moderne . actes du séminaire tenu du 13au 15 juillet 1977. A Durham . Rabat. BESM.1977.

مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في مغرب القرن 19، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الطبعة الاولى، 1995.

ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1987.

عبد الرحمان المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، إيناون والمخزن، بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1995.

M. Garcia- Arenal. Ahmad al-Mansur. The Beginnings of Modern Morocco. Oneworld Publications United Kingdom. 2008.

M.Garcia-Arenal. Pouvoir sacré et mahdisme. Ahmad Al-Mansour Al-Dhahabi. In AlQantara. Revista de estudios arabes . vol. 17. Fasc. 2. 1996.

R.L.Smith.Ahmad Al-Mansur . Islamic Visionary.Library of Word Biography Series. Longman Publishers.2006.

[56] الحبيب الستاتي زين الدين، مرجع سابق، ص. 15.

[57]عزيز خمليش، **الانتفاضات الحضرية بالمغرب، دراسة ميدانية لحركتي مارس 1965 ويونيو1981**، الجزء الأول، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء، 2005.، ص. 225.

[58]Manuel Castells, **Luttes urbaines** ,Maspero,1975, pp .91-116.

مالم تنجح فيـه الـسلـطـات، إذ كانت فئاته هي من أكثر الفئات حضورا في جميع الحركات الاحتجاجية التي عرفها المغرب منذ ستينيات القرن الماضي، وفي قلب جل الأحداث الحضرية التي عرفها الحقل السياسي والاجتماعي المغربي آنذاك بعد تضخم منسوب "الحرمان النسبي، الذي لم يكن مجرد احتجاج على مجتمع الاستهلاك، بل كان أساسا، احتجاج ضد مجتمع التخلف و الإقصاء والبطالة، و" «انفجار للحاجات » بحسب لـيـوزي[59]Liauzu . وقد جاءت تلك الاضطرابات لتؤكد على ضرورة وضع القضايا ذات البعد الاجتماعي في قلب الانشغالات السياسية ولتعبر عن تناقضات البنية الاجتماعية في سياقات صراعية جديدة أطلقتها دولة الاستقلال. ويعني هذا الأمر أن الهامش لطالما كان حاضنا للعديد من أشكال المقاومة الاجتماعية، التي تتحول في كثير من الأحيان إلى أشكال اجتماعية إبداعية، ولا يمكن النظر إليه فقط كمجال لتصريف القلق، بل يمكن فهمه أيضا باعتباره مجال ذو مخزون إبداعي لا يمكن تجاهله بإنتاج تعابير احتجاجية تتلاءم مع عصر ما بعد الحداثة، تقوم باستثمار الحرمان الذي تعيشه الساكنة لتعبئة مواردها، كما أنها تأخذ بفكرة التهميش والكرامة التي يعبر عنها من خلال مفهوم " الحكرة"« mépris [60] كصيغة سلبية للكرامة، ويخلقون تفاعلا بينها وبين قدرة الفاعلين (كفاعلين عقلانيين يتصرفون انطلاقا من حاجات محددة، يختارون الفرص المناسبة)،على تأطير مقاومتهم وتنظيمها، بخصوص مصالح اقتصادية واجتماعية وترابية وإثنية وأيضا رمزية. فالهوية التي تبناها الهامش ليست فقط هويـة تتحـدد بالسـلب مـن خـلال رفضهـا للهيمنـة الاجتماعية إنها على الخصـوص إثبات للتجربة الذاتية المعيشة، وبالتالـي إثبـات القـدرة علـى التفكيـر والفعـل. فبرأي زناد بوشارة Traki Zannad Bouchrara **"الهامش الخلاق ينبثق مـن رحـم التجمعات المفتقرة إلى رقابة، لتبرز أشكال جديدة من الاجتماعي تظهر نسق وأنماط حياة لامثيل لهما"** [61]. ما يعني أن الهامش له خطابه وممارساته الخاصة المحكومة بأطر اجتماعية [62] والخطاب الرسمي بالنسبة للفئات "المهمشة" هو رواية الدولة – المدرسة- الإعلام ...أي بصيغة أدق رواية "الطبقات المهيمنة"،[63] ولأن لهذا الهامش خطابه الخاص الذي يعبر من خلاله

---

[59] Claude Liauzu [et al.], Enjeux urbains au Maghreb: Crises, pouvoirs et mouvements sociaux, cahier d'études (Paris: L'Harmattan, 1985), p. 115

[60]ترمز مفردة الحكرة في العربية المغربية كما عرفها سعيد بنيس إلى الاحتقار والاستعلاء من قبيل " حنا لمغاربة حكارة "، " كنس حكار" " حكرتيني" ... انتقل هذا المعنى إلى " اللامساواة الاجتماعية" و" الظلم الاجتماعي" عبر انزلاق دلالي هم قنوات التداول الخاصة داخل شبكة المجتمع المدني. يرمز مفهوم الحكرة في هذا الحقل الدلالي إلى الحقوق المدنية المرتبطة بالمطالب المادية والمعنوية مثل الحق في الصحة والشغل والتعليم واللغة والثقافة والمساواة والعدالة والكرامة ...وينبغي التمييز بين نمطين من الحكرة "الحكرة الكلامية التي تخص الخطابات حول اللامساواة الاجتماعية " والحكرة المتحركة التي تترجم عبر فعل احتجاجي وحراك المجتمع المدني من قبيل المسيرات والوقفات والاعتصامات. والحكرة هي مفهوم مشترك بين مختلف الأطياف (السلفيون، الامازيغيون، اليساريون، ومواطنون من مختلف المشارب).

كما يمكن ترجمة هذا المفهوم ب « mépris » الذي يستعمل للتعبير عن إحباط بعض الفئات الاجتماعية التي ليست بالضرورة فقيرة، أي أنها فئات تشعر بعدم قيمتها وفائدتها exprime le sentiment de ne pas être perçu) se sentent dévalorisés et inutiles (socialement à sa juste valeur بمعنى أنه مرتبط بعدم الرضا وقبول الوضع الاجتماعي، لذا تتعزز الرغبة بالبحث عن بديل " الحكرة " وهي الكرامة « la dignité »

[61] Traki Zannad Bouchrara, La ville mémoire: Contribution à une sociologie du vécu, sociologies au quotidien (Paris: Méridiens-Klincksieck, 1994), p. 23.

[62] Marc Ferro. L'Histoire sous surveillance . Science et conscience de l'histoire. (Paris ; Gallimard. 1987)

[63] Didier Lapeyronnie, Ghetto urbain: Ségrégation, violence, pauvreté en France aujourd'hui, avec Laurent Courtois, (Paris: R. Laffont, 2008), p. 58

عن نفسه ويصف عبره معيشه اليومي، فإنه يصبح فاعلا مستقلا يعبر عن ذاته خارج " الخطاب الرسمي المهيمن". [64] كما أن التحولات التي يشهدها الشرط المادي لوجودنا الاجتماعي تدفعه إلى البحث عن بدائل رغبة في خلق هوية جديدة عبر دينامية جماعية قادرة على زحزحة القائم ،و نزع الاعتراف[65] و من تم ينجحون في خلق شعور بأنهم لم يسحقوا بعد بحسب إريك هوفر[66] ، وهو أمر تترجمه كما أسلفنا ممارساتهم وإحساسهم بغياب العدالة، و سلوكاتهم وتعبيراتهم الهويتاتية، وأشكال الروابط الاجتماعية التي يتناقلونها بينهم، وأيضا من مواقفهم وتمثلاتهم حول أنفسهم [67]ولهويتهم المشتركة وللمخاطر التي تهددها في محيطها السياسي والمؤسسي والثقافي[68] . وانطلاقا من هذه الزاوية، تظهر الهوية التي يؤسسها الهامش كتجلي للصراع من أجل البروز La visibilité الاجتماعي، وإثبات وجود الجماعة الاجتماعي[69] وهنا تبرز أهمية تجاوز مقاربات تعبئة الموارد[70]، لكونها لا تأخذ في تفسيرها بالاعتبار الأبعاد النفسية والقيمية المتعلقة بالصراع من أجل

---

[64] Ibid

[65] الاعتراف واحد من أهم المفاهيم في الوقت الراهن، والتي تحضر كأداة في فهم التحولات المجتمعية بحسب نظريات الاعتراف التي أصبح معها " الصراع هو بالأساس صراع من أجل الاعتراف" (شارلز تايلر- نانسي فرايزر- أكسيل هونيث- ويل كمليكا) وبصيغة أدق فما يوجه الصراعات يتجسد بالأساس في الهيمنة السياسية والاجتماعية .

Nancy Frazer ;Justice sociale ; redistribution et reconnaissance ; La découverte .Revue de Mauss 2004- 1. N° 23. PP 152- 164.

[66]إيريك هوفر، المؤمن الصادق: أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية، ترجمة غازي بن عبد الرحمن القصيبي أبو ظبي :الانتشار العربي؛ العبيكان؛ كلمة، 2010 ،)ص 31.

[67] Mohamed Nachi, Introduction à la sociologie pragmatique: Vers un nouveau style sociologique?, préface de Luc Boltanski, collection cursus. Sociologie (Paris: A. Colin, 2006)

[68]تيلي تشارلز: الحركات الاجتماعية1768 -2004 ،ترجمة: ربيع وهبة، الطبعة الأولى، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2005، ص 25

[69] Philippe Braud: Violences politiques, pp. 41-44, et «La Violence politique : Repères et problèmes,» Cultures et Conflits, nos. 9-10 (Printemps-Eté 1993), mis en ligne le 13 Mars 2006: <http://conflits.revues.org/406> (consulté le 15 Juillet 2015) Voir aussi ; Pierre Bourdieu, «L'Identité et la représentation: Eléments pour une réflexion critique sur l'idée de région, » Actes de la recherche en sciences sociales, no. 35 (1980), p. 65

[70] تندرج هذه النظرية ضمن الاتجاهات الجديدة المفسرة للحركات الاجتماعية، تبلورت في ستينيات القرن الماضي على إثر تنامي الحركات النسائية وحركات السود المدافعين عن البيئة في أمريكا (من كتاب ماركتي زالد، الحركات الاجتماعية بأمريكا: الاحترافية وتعبئة الموارد البشرية، الصادر سنة 1973، والذي شكل ميلاد نظرية تعبئة الموارد)، مرتكنة إلى فهم خاص يبحث في انبناء الحركات الاجتماعية و آليات تدبيرها استنادا للموارد السياسية والاقتصادية وكذا التواصلية المتوفرة للجماعات المنخرطة في الحراك. ويعد غامسون(Chamson)، وتيلي (Willy)، وماركتي زالد(Marty zade)، و أوبرشال (Obershal)، من أبرز منظري هذا الاتجاه. ورغم ذلك تبقى نظرية تعبئة الموارد من أهم النظريات في إبراز دور الروابط المجتمعية ومنظمي الفعل والشبكات، وكذا أهمية السياقات السياسية و الأنساق المؤسساتية في بلورة الفعل الجمعي (تشارلز تيلي). ومن أهم ما جاءت به هذه النظرية هو اهتمامها بالحركات الاجتماعية حتى خارج الرهانات المادية المباشرة أي حتى الرهانات الايديولوجية والسياسية، لتعيد طرح السؤال المؤسس لتحليل الحركات الاجتماعية، محاولة تجاوز سؤال كيف تتم تعبئة جماعة معينة ؟ إلى كيف ينطلق ذلك التجمع ويتطور ؟ ثم ما لذي يعيقه أو ما لذي يساعده على الاستمرارية والنجاح؟

الحصول على الاعتراف[71] حينما تتجه المؤسسات السياسية إلى اعتماد الإقصاء أو الهيمنة تجاه الهويات الاجتماعية والثقافية والسياسية لفئات اجتماعية معينة لكونها مهمشة أو أقلية. وفي المقابل فهذه الفئات لا تفتئ ترد بعنف مادي مضاد، من خلاله تعمل على إعادة التموقع داخل الرقعة الاجتماعية، ونزع الاعتراف، أو على الأقل، دفع الطرف النقيض إلى الابتعاد عن نهج منطق اللامبالاة اتجاهها.

لكل هذه الاعتبارات، وبناء على المادة التحليلية التي جمعناها من مختلف المصادر المشار إليها أنفا، سنعمل فيما هو قادم على إبراز تجربة المعاناة، الترقب، الخوف، انعدام الموارد، وكذلك اللامبالاة والتجاهل وعدم الانضباط للإجراءات الوقائية والأمنية في كثير من الاحيان التي قابل بها مجتمع الهامش وباء كورونا مغربيا، رغم التعاطي الزجري للدولة مع غير الممتثلين للتعليمات، وعلى الرغم من الأرقام الكبيرة التي تأتي يوميا من وزارة الصحة، ورغم السيناريوهات السيئة التي تقدمت بها المندوبية السامية للتخطيط، لنقف فيما بعد على مستويات الهشاشة المتداخلة التي فرضت واقعا جديدا على إنسان الهامش وأجبر على التعايش معه كمعطى يتم خارج ذاتية الفاعلين وبمنأى عن سيطرتهم ونطاق تحكمهم، أي التعرض لمسار الهامش في ظل الوباء، وفي الأخير سنقف عند انتظارات الهامش وتطلعاته لمغرب يتسع للجميع.

2- الوباء المستجد والهامشية الحضرية

إن توسع قاعدة الوباء على الصعيد العالمي، جعلت المغاربة يدركون شراسة "العدو " الذي يتربص بحياتهم وببلادهم، ليتغير إيقاع حياتهم اليومية وفق ما تمليه مقتضيات الجائحة فالقلق والخوف من الموت هو المشترك بين جميع المغاربة، لكن سرعان ما ستتبدى الفوارق والتمايزات تخص فئات تولدت لديها تصدعات في سيرورتها الحياتية بفعل عدم الادماج المهني تحديدا، يتعلق الأمر بالعمال ذوي الدخل المحدود – المياومين- والعاملات المنزليات- وسائقي سيارات الأجرة – وممتهني الاقتصاد اللاشكلي بشكل عام ... بفعل الانتقال من نظام العمل المؤقت إلى العطالة التامة .

ونتيجة لهذه الوضعية، شهدت العديد من المناطق والأحياء السكنية الشعبية حركية مضادة تمثلت أساسا في خرق حالة الطوارئ الصحية وعدم الامتثال لضرورة الحجر الصحي، وطبعا ساهم هذا النوع من اللامبالاة في مجمل الاصابات التي شهدتها البلاد .

ويحدثنا أحد المبحوثين، وهو للإشارة رجل في السابعة والخمسين من عمره، متزوج وأب لأربعة شباب عاطلين، يقطن بحي شعبي بمدينة الرباط، ويشتغل كسائق سيارة أجرة من النوع الكبير قائلا: "عندما شاع خبر تسجيل أول حالة

لمزيد من التفاصيل بهذا الخصوص راجع :- Anthony Oberschall, Social Conflict and Social Movements, Prentice-Hall Series in Sociology (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, [1973]), and Charles Tilly, From Mobilization to Revolution (Reading, Mass.: Addison-Wesley Pub. Co., 1978).

Eric Neveu, sociologie des mouvements sociaux, Ed la découverte, reperes .207 ،3eme édition, paris 2002, p .41.

Olivier Fillieule، Requiem pour un concept Vie et mort de la notion de structure des opportunités politiques" in . Gilles Dorronsoro (dir) . la turquie contexte ; Mobilisations sociales et régime sécuritaire (Paris ; Presses du C ?N.R.S. 2005) P202.

[71] Axel Honneth, La Lutte pour la reconnaissance, trad. de l'allemand par Pierre Rusch, Passages (Paris: Éd. du Cerf, 2010).

مصابة بداء كورونا في 2 مارس 2020، لم أشعر بالخوف صراحة، لكن عندما تصاعدت الأرقام بدأت أخاف على حياتي وعلى أسرتي، لاسيما بعدما سمعت أن الفيروس يمكن بسهولة أن ينال من الأشخاص الذين لا يتوفرون على مناعة قوية، وأنا مصاب بداء السكري وقبل انتشار الوباء بثلاثة أشهر فقط خضعت لعملية جراحية مستعصية من أجل استئصال ورم مسرطن على مستوى اللسان، وكنت أخضع بشكل يومي للعلاج بالأشعة، وبمجرد فرض الحجر الصحي بدأت أتخذ الاحتياطات المعمول بها وأخرج إلى العمل لأنني مجبر على إعالة أسرتي، لكن بعد قرار الداخلية بمنع الترخيص لنقل أكثر من ثلاث ركاب في السيارة تدهورت وضعيتي المادية، ثم بعدها مباشرة تم منع سيارات الأجرة في العاصمة الرباط بصنفيها الكبير والصغير من العمل من دون تقديم أي بديل، وكما تعلم فأنا لدي الكثير من المصاريف، على رأسها أنني لابد أن أسدد كلفة الكراء لصاحب المأذونية والتي تبلغ قيمة كرائها 1400 درهم، ويلزمني أن أدفع للبنك، إضافة إلى مصاريف البيت والأولاد ... والدولة لم تمنحنا أي مساعدة اجتماعية تذكر ورغم كل هذه الاكراهات التزمت بالحجر الصحي في الشهر الأول مكرها ..."

ويقول أحمد، 46 سنة، أب لطفلين "نعم أنا أخاف على حياتي لكنني لم أجد أكلا لأولادي، الدولة أدخلتنا إلى الحجر الصحي من دون أن تقدم لنا أي شيء يذكر، قالوا لنا أننا سنستفيد لكن لم نتوصل بأي شيء " .

وبذلك يكون الحجر الصحي والعزل الاجتماعي لمن يعانون من الضيق المادي و يقبعون في قاع الهرم الاجتماعي يكتسي وضعا مشددا مضاعفا، إذ يجدون أنفسهم أمام وضعهم الطبقي الصعب مقارنة بوضعيات طبقية أكثر أريحية تجعل الحجر الصحي أخف نسبيا، وهذا ما لم تقدر عليه الفئات الهامشية التي وجدت نفسها في إطار تناقض وتباعد بين متطلبات الحجر وعدم توفر الإمكانات الحقيقية للانخراط في العزل الاجتماعي بشكل كامل بدون إحباط. ومن الرغبات غير المحققة لدى نسبة واسعة من هذه الفئة، التي بنت انخراطها على الدولة الراعية، رغبة "الحصول على مساعدات اجتماعية»،أي مراهنتها على أن تتخذ الدولة طابعا تقنيا تدخليا لفائدة مجموعات تعيش تصدعا في سيرورتها الحياتية بسبب هشاشة العمل، وبسبب هشاشة اجتماعية Précarité، بمعنى أنها تحولت من وضعية مندمجة – هشة إلى وضعية عدم الاستقرار حيث تغذوا وضعيات الأفراد أمرا غير يقيني. وبالتالي السير في اتجاه تقليص ضمانات أنظمة الحماية الاجتماعية وسيادة وضع من عدم الثبات وهذا ما يعني أن الهشاشة الاجتماعية تزداد حدة وتفاقما في ظل الوضعية الوبائية. أي كل هذا في ظل وضعية تهميش وغياب بديل مقدم من طرف الدولة، أي أن حاجيات الفئات الهامشية تتجاوز بكثير الإمكانيات المتوفرة على المستوى المحلي و الجهوي والوطني. [72] مما يحيل على أزمة مجالات لم يترافق فيها إجراءات الحجر الصحي مع إجراءات مماثلة على مستوى الإمكانيات الاقتصادية والخدماتية، الأمر الذي وضعها على حافة حرجة تتجلى في انعدام التوازن بين إمكانياتها والوضع الوبائي" وقد أشار كاستل إلى هذه المسألة حينما اعتبر على أن تجانس المجتمع لا يمكن أن يتحقق دون إجراءات تستهدف بالأساس ساكنة خاصة، ومجالات محددة تعرف عجزا إدماجيا.[73]

على هذا النحو إذن، لاحظنا كيف كان الخوف من الموت والقلق من إمكانية انتقال العدوى معطى مشترك بين جميع الفاعلين، وهو رد فعل طبيعي ليس في المغرب فحسب بل في كل المجتمعات التي تعرف انتشارا لوباء كورونا، لكن هذه

[72] M. Naciri. Pouvoir de commandement . espace rural et modernisation au Maroc. 1977. P 69

[73] M. Castel. (1995). Les métamorphoses de la question sociale . une chronique de salariat . PP 675-677. Paris. Gallimard. Collection folio.

المشاعر التي نسقطها بشكل عام على كل الأفراد والفئات لا تنفذ إلى نفس الواقع الاجتماعي، كما لو كنا نقصد كتلة متجانسة سوسيولوجيا، وإفضائها إلى نتائج متشابهة، هنا بالذات تفتح مسارات أخرى للبحث السوسيولوجي الذي يجب أن يدرك حدة هذه الفوارق وأن يحلل ماهو مخفي وغير ظاهر.

إن الخلاصة التي يمكن الخروج بها هنا: هي ضرورة التمييز بين مستوى الواقع المادي للمجتمع الهامشي، (بما يعنيه من ظروف اقتصادية، اجتماعية ومجالية صعبة)، وبين تصورات الناس و تمثلاتهم حول ظروف وشروط حياتهم الاجتماعية .

3- **الفقر الجديد ومسألة الإقصاء الاجتماعي**:

لطالما كان الفقر حاضرا في السياق المغربي[74]، خاصة وأننا نعلم أن ما حصل منذ الاستقلال هو سياسات اجتماعية تؤخر **"الانفجارات الاجتماعية"**[75] والتي دعمت التبعية في مستوى الاندماج البدائي عبر سن برامج هدفها الحفاظ على

---

[74] راجع : جون واتر بوري، أمير المؤمنين: **الملكية والنخبة السياسية المغربية**، ترجمة عبد الغني أبو العزم وعبد الاحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، الطبعة الأولى، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 2004، ص 185

عبد الله إبراهيم،**" هناك حقائق كثيرة بالمغرب لم يكشف عنها النقاب، ولست وحدي مسؤولا عنها "**، استجوبته هند عروب، الصحيفة، عدد رقم 30، 15 شتنبر 2001، ص 20.

عبد الرحيم العطري، **الحركات الاحتجاجية بالمغرب، قراءة في شروط الإنتاج وإعادة الإنتاج**، مجلة مقاربات، مكتبة أنفو برانت، العدد 10، مجلد 5، 2012،ص18.

Jean et Simonne Lacouture. Le Maroc a l'épreuve .Seuil. Paris.1958.p197.

ألبير عياش، حصيلة الاستعمار الفرنسي في المغرب، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، الطبعة الثانية، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، سلا، 2010، ص ص 169-299-300.

Daniel Rivet. Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912-1925). Tome 2. L'Harmattan.Paris . 1996.p233-234 .

Abdellah El Ghazouani et Kenza Homman Loudiyi. 1956: Ombres et lumières . Najah Al jadida. Casablanca2010.p230 – 236- 237.

Mohammed Kenbib. Le Maroc indépendant.1955-2005: essai de synthèse . Cinquantenaire de l'indépendance du Royaume indépendant. rapports transversaux.2005.p10.www.rdh50.ma consulté le 9 juillet 2012.

USFP: Rapport de synthèse du Bureau politique:IIIème congrès national (8-10/12/1978) EDIMA. Casablanca :PP46-48.

مديحة صبيوي، كارثة الزيوت المسمومة بالمغرب ما بين (1959 – 1960)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: الزمن الراهن، رقم 2، الطبعة الأولى، 2014، ص ص13-14.

[75] مغربيا، بدأ الاهتمام بالمسألة الاجتماعية حديثا، وبالضبط بعد انتفاضة 14 دجنبر 1990 والتي جاءت احتجاجا على التهميش والإقصاء، والمطالبة بالتنزيل الفوري للعدالة الاجتماعية. وكانت مسألة إدماج الشباب و تشغيلهم في واجهة المطالب المرفوعة، وهو ما دفع بالملك الحسن الثاني إلى الإعلان عن تأسيس المجلس الوطني للشباب والمستقبل في أعقاب هذه الحركة ووضع مسألة التشغيل في قلب جدول سياساته، حيث عمد المغرب منذ الاستقلال إلى اعتماد سياسات رهنت الارتقاء الاجتماعي بنظيره الاقتصادي وهو ما جعل المسألة الاجتماعية تعتبر عنصرا ثانويا تابعا للاقتصاد المتمثل في البحث عن رؤوس الأموال. وكان من نتائج ذلك تفاقم مؤشرات العجز الاجتماعي نظرا لهشاشة الاقتصاد، إذ لم يكن بوسع واقع الانتقال من الحماية إلى الاستقلال أن يمر بسلاسة، خاصة بعدما تبين أنه لم يقطع مع العهد السابق على نحو نهائي، وهو ما

مستوى البؤس الاجتماعي القائم والحيلولة دون تفاقمه. في هذا الإطار جاءت بعض البرامج من قبيل خلق صندوق المقاصة[76]،والتعاون الوطني[77]، والإنعاش الوطني[78].الهدف من جل هذه البرامج كان محدودا غايته دعم أثمان المواد الأولية المسوقة في المغرب وتقديم المساعدة للمغاربة في مواجهة غلاء أثمانها، إضافة إلى دعم محدود لمعيش المغاربة، ومواجهة مشكلة البطالة بحلول ترقيعية، ثم إدماج المرأة والشباب عبر مهن لا تتماهى ومؤهلاتهم . لكن بعد سنة 1999 سيحصل تحول ملحوظ في طبيعة علاقة الدولة مع المسألة الاجتماعية، لتتجاوز الدولة بذلك التوقيف الذي كان يعرفه الحقل الاجتماعي عبر خلق مجموعة من المسارب الداعمة للحاجيات الملحة للمغاربة كوكالة التنمية الاجتماعية، ومؤسسة محمد الخامس للتضامن، وبعدها تم وضع برنامج لمواجهة أثار الجفاف (على اعتبار أن مشكل الجفاف يعتبر من أهم التحديات التي تواجه الساكنة القروية وتكون مسؤولة عن عجزها وفقرها)، كما تم في 2005 إحداث المبادرة الوطنية التنمية البشرية والتي كان الغرض منها التصدي لمظاهر البؤس بالأحياء الحضرية الفقيرة والجماعات القروية و تشجيع الأنشطة المدرة للدخل القار والمتيحة لفرص الشغل، وكذا العمل على الاستجابة للحاجيات الضرورية للفئات المعوزة. كل هذه البرامج في واقع الأمر تحيل على ما وصل إليه الوضع على مستوى العجز الاجتماعي في مجتمع يتسم بتسارع وتيرة التحولات، وبتغيرات عميقة الناجمة عن انسداد آفاق المستقبل أمام شرائح عريضة من أفراد المجتمع وبخاصة الشباب (بالمعنى البيولوجي - والمعنى الوظيفي)، واستفحال البطالة، وهجرة الشباب العاطل، إضافة إلى التحولات التي يعرفها وسط التشغيل والتي تتجلى - أساسا- في مستوى تراجع العمل القار، إزاء عمل يتميز بعدم الثبات والمرونة، فالتشغيل لم يعد يفتح المجال أمام الحركية الاجتماعية، على هذا الأساس، وكما يشير كلود ديبار، نكون إزاء وضع يشي بتعويض للعمل المعياري بالعمل غير المعياري، " فالنمو الاقتصادي تحت شروط السوق العالمية يجعل من تصور التشغيل التقليدي الكامل، أي مناصب العمل المستمرة مدى الحياة مع ما يتبعها من ترقية وما إلى ذلك، تصورا قديما"[79]، وفي اتصال بهذا السياق تشير الباحثة الفرنسية سيلفيا شيفولو في كتابها المجتمعات العربية في حركة ثلاث سنوات من التغيير:" أن أغلب المجتمعات العربية – المغاربية- قد شهدت فك التزامات الدولة والدعم المتزايد للقطاع الخاص، وهو ما أدى إلى تآكل الأنظمة العمومية الموجودة بشكل كبير ضمن سياق محلي يتسم بتزايد عدم المساواة وتسارع وتيرة التحولات، حيث يمكن لفئات قليلة من المجتمع الاتجاه إلى قطاع خاص بصدد التوسع، بينما تظل الفئات الهشة تابعة لقطاع عام في وضعية سيئة، وخاصة في الميدانين الاجتماعي والاقتصادي ،مما يوحي ببروز مجتمع يسير بسرعتين"[80] وفي هذا الصدد يعتبر دانيلو مارتوشيلي أن الوهن المتوقع للمؤسسة كما تعبر عنه كلمة "تحلل المؤسسة" يعني أن كل ما كان بالأمس يعهد للتكفل

سجل مع استمرار الأطر الأجنبية على رأس القطاعات الحيوية، بينما ظل الاقتصاد المغربي يتخبط في تبعيته لنظيره الفرنسي، فكان ذلك منطلقا لسلسلة من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية. كما أنها كانت ثانوية في حسابات قوى المعارضة والأحزاب اليسارية التي انشغلت في مطلع الستينيات بالصراع حول السلطة. راجع بهذا الخصوص ، ولمزيد من التفاصيل:

Mounia Bennani Chraïbi, **Soumis et Rebelles : Les jeunes au Maroc**, Editions le Fennec, 1995, p.284.

[76] تم إحداث صندوق المقاصة 1941 سنة، إبان الحماية الفرنسية على المغرب، و يؤطر تسييره ومهامه ظهير لسنة1977 .

[77] تم إحداثه سنة 1957.

[78] احدث سنة 1961.

[79] Claude Dubar ،«De l'école a l'emploi :Les Parcours précaires».dans :Serge Paugam.dit.L'Exclusion .l'état des savoirs .les textes a l'appui (Paris :La Découverte .1996).p.184.

[80] Sylvia Chiffoleau .Société arabes en mouvement: Trois décennies de changements . la bibliothèque de L'Iremmo.5(Paris:L'Harmattan.2017).p.16.

الجماعي أصبح متروكا للفرد نفسه. فسوق الشغل أصبح محاصرا نتيجة لكثير من العوامل من بينها الإكراهات المفروضة على المغرب وعلى نسيجه الاقتصادي كالمديونية و إملاءات صندوق النقد الدولي[81]... ففي عصر العولمة، لم يعد العمل مصدرا لبناء هوية اجتماعية، إذ أدت العولمة، وعلى نحو سريع، إلى تفتيت عالم الشغل واختلال عمليات التنشئة الاجتماعية المرتبطة به، وهو ما عبر عنه مانويل كاستل بوقوع تصدع بين المعنى والوظيفة. في ظل هذا الوضع تصاعدت الدعامات الرمزية القادمة من داخل الدين لمقاومة الضيق الاقتصادي ومقاومة الشعور بالإقصاء الاجتماعي، و بالتالي فالبحث عن ما يضمن الاستمرار والتماسك أمر متوقع، وهو بحث يندرج أيضا بحسب كاستل في قضية هوية ذاتية، تبحث عن معانيها بصفة فردية، وهذه الهوية المبحوث عنها حسب كاستل هي **"نـتاج عمل هوياتي يستند إلى خاصتين: أولا إعطاء معنى للآنا و ثانيا القدرة التعبيرية عنها"**[82] وما من شك أن تخلف مدبري الشأن العام عن توفير الحلول يخلق فراغا يتغذى منه وعليه المد السلفي بالمجتمع المغربي مما يزيد من تأزم الوضع. وتجدر الإشارة إلى أن الشباب هم الفئة الاجتماعية الأكثر تضررا من هذه التحولات التي يشهدها الشرط المادي لوجودنا الاجتماعي، وذلك بالنظر إلى أهمية النسبة التي تمثلها هذه الفئة من الساكنة النشيطة داخل المجتمع، فضلا عن ارتباطها المباشر بالعمليات التي يتحقق بموجبها الاجتماع البشري بتعبير الباحث المغربي جمال فزة[83]، وتكون الأساس الذي يتعزز به ميكانيزم التماسك الاجتماعي La socialisation. ففي المغرب المستقل، كان الشباب المغربي في قلب جل الأحداث الحضرية التي عرفها الحقل السياسي والاجتماعي المغربي آنذاك، وقد أشار الباحث مصطفى بوعزيز إلى أن الحركات الاحتجاجية التي عرفها المغرب منذ انتفاضة الدباغين بفاس تشترك في عدة خصائص، يميز منها الدور الرئيسي للشباب فيها ويقول في هذا الصدد: «إن الشباب هو المحرك الأساسي للاحتجاجات: وجدناه في انتفاضة الدباغين بفاس، وفي باقي الاحتجاجات التي عرفها المغرب[84]» ،فاعتبارا لارتفاع نسبة الشباب داخل المجتمع، « من البديهي أن يكون داخل هذا الاحتجاج، ذلك أن وجوده يمكن أن يعبر عن انحصار في الأفق بالنسبة للمجتمع ككل[85] .»

و رجوعا إلى الشغل، نعلم جيدا الدور الذي اضطلع به العمل بالمجتمع الصناعي، إذ كانت له مكانة أساسية في تشكيل الهوية الجماعية للمجموعات المهنية. وغيابه بمجتمعنا تجسد من خلال استفحال معدلات البطالة كأحد أهم أشكال التعبير عن النقص في الإندماج الاجتماعي وتعاظم عنصر الخيبة. فالشعور بالخيبة والإحباط، هو شعور يحدد العلاقة بالواقع.

ومنه يمكن القول أن سمة الإصلاحات الاجتماعية التي عمل بها المغرب في السنوات الأخيرة والتي كانت لأجل احتواء عدم المساواة الاجتماعية هي المحدودية، فكما رأى الباحثين المغربين محمد عبابو ومحمد فاوبار أن البرامج الاجتماعية المشار إليها ركزت على الحماية الاجتماعية في نطاق الأجراء أي (الموظفين والعمال)وهو ما جعلها برامجا مركزية

---

[81] لأخذ فكرة أكثر وضوحا أنظر : الحبيب المالكي، التخلف ومنطق الاقتصاد الحر، حوار في جريدة الاتحاد الاشتراكي ،17 ماي1985.
أنظر أيضا مواضيع ذات صلة :فتح الله ولعلو، التغلغل الامبريالي والاندماج في الرأسمالية وتطور التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية والمغربية، مجلة المشروع، العدد الأول، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1979، ص80.

[82] Manuel Castells, Le Pouvoir de l'identité, trad. de l'anglais par Paul Chemla, l'ère de l'information; 2 (Paris: Fayard, 1999), p. 116.

[83] أستاذ علم الاجتماع بجامعة محمد الخامس الرباط .

[84]مصطفى بوعزيز، **لماذا يتخذ الاحتجاج صورة الشباب ؟**، جريدة الأحداث المغربية، العدد 27، السبت / الأحد، 12/11 شتنبر 1999، ص. 5-4.

[85]المرجع نفسه.

مقابل هشاشة و خصاص اجتماعيين لا مركزيين .[86] كما وقد ارتبطت في مضمونها بسياسات الخوصصة وتفكيك القطاع العام التي نتجت بدورها عن سياسة التقشف (التقويم الهيكلي).[87] وعلى هذا الأساس السؤال الذي يطرح نفسه هنا – وبإلحاح – هو: **إلى أي حد تنتج هذه السياسات جوابا على المشاكل المستعصية التي تهم المواطنين كالتعليم والصحة والتشغيل والسكن الخ ؟ أم أنها تقوم أساسا على تقديم إصلاح هامشي للفئات الموجودة في وضعية بؤس اجتماعي أمام تزايد حدة الفوارق الاجتماعية ومظاهر اليأس والتهميش، مما يحيل على أن الغاية من سنها هي تدجين المسألة الاجتماعية، وليست الحد من تفاقم الشروخ الاجتماعية بين الفقراء والميسورين، والتعامل مع فئات الهوامش كفئة عاجزة يجب حجبها عن الأنظار وتركها تعيش على أمل أن يحقق مطلبها يوما ما؟.**

وإذا حاولنا أن نبحث في أشكال التحول الذي عرفه مجتمعنا في ظل زمن كورونا، نجد أن الفرد في الهامش أصبح يواجه بشكل مزدوج: العزلة العلائقية وفقدان العمل وإن كان لا شكليا، خاصة في ظل انهيار كل الدعائم السابقة التي تحقق له جملة من الدعائم والضمانات الذي يرى فيه بيير روسانفالون أنه "نتيجة موضوعية لصيرورة تفتت وفجوة في النسيج الاجتماعي" [88]

لكن ما يعنينا في هذا الصدد، وبالعودة إلى إشكالية الدراسة، هو التفاعل بين الوضعية الوبائية وتجربة الفاعلين الذاتية، أي إيلاء أهمية لتمثلات الفاعل، التي يعتبرها فانسون دوكلجاك بمثابة "وسائط يقوم عبرها الفاعلون باختبار مختلف الظواهر الاجتماعية"[89] ذل أن اللامساواة والهيمنة هي بحسبه ظواهر اجتماعية مجردة يحياها الفاعلون من خلال مشاعر فردية كالغضب والاحباط واليأس والتمييز السلبي.

4- التعايش مع الوباء: من الخوف إلى اللامبالاة

من جانب آخر، اعتبر المبحوثون، أن هناك مبالغة في الهلع، وتقول زهرة، 51، ربة بيت " لن يقتلك إلا أجلك ...لا بد للناس من الخروج للبحث عن قوتهم " راهم كيجريو وراء الخبز وتابعينهم مصاريف". قد حكت لنا نسبة كبيرة ممن استجوبناهم أنهم لا يصدقون كل ما تروج له المنابر الاعلامية والسلطات عن الوباء، وهو ما جعلهم يبدون غير متوترين بسبب انتشار الوباء، مما يظهر الوضعية الوبائية وكأنها تتحدد فقط بلغة مؤسساتية دون أن يشملها أي طابع معياري . وتتعدد مظاهر اللامبالاة حتى في صفوف الشباب (وفقا للمعطى البيولوجي والوظيفي) ويقول عماد 26، عاطل: " هل سننتظر الوباء ليقتلنا، نحن ميتون من زمان ولا أحد يعلم.. والله أرسل هذا الوباء ليحقق المساواة التي لم تحققها السياسات والمسؤولين " .

---

[86] آفاق سوسيولوجية- حوليات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية الهشاشة والسياسات الاجتماعية ، تنسيق محمد عبابو و عبد الرحمان المالكي ، منشورات جامعية سيدي محمد بن عبد الله – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز- فاس، 2017، ص35.

[87] M/Catusse. 2005. La réinvention du social dans le Maroc ajusté. Revue des mondes Musulmans et de la Méditerranée.

[88] Pierre Rosanvallon, La Nouvelle question sociale: Repenser l'Etat-providence (Paris: Ed. du Seuil, 1995), p. 118

[89] Vincent de Gauléjac et Isabel Taboada Léonetti, La Lutte des places: Insertion et désinsertion, avec la collab. de Frédéric Blondel et de Dominique-Marie Boullier, re-connaissances (Marseille: Hommes et perspectives; Paris: Desclée de Brouwer, 1994), p. 184.

المثال الشعبي الدارج "ميت وغير ميت" يجد في هذا التصور كل دلالاته التي تشير إلى حياة تعاني إحباطا واحتقاراً وشهورا عميقا باللامساواة والاقصاء وعدم القدرة على "عيش الحياة" كما يجب، والانخراط بشكل كامل في المجتمع، لهذا نجد من خلال المقابلات التي أجريناها تكرر المقارنة بين "النحن" المقصيين والمستبعدين من الحياة الحقيقية، وبين الاخرين المنخرطين في المجتمع المديني.

معطيات تجتمع لتوضح لنا بأن مجتمع الهامش، يتخذ مسافة إزاء العالم الخارجي، ورغم اختلافات مسارات أفراده الحياتية إلا أنهم يتفقون عند نظرتهم للآخر، أي في نظرتهم لبورجوازيي المدينة والطبقات المتوسطة. وهذه النظرة في بعديها الرمزي أو المجالي هي أبرز تجليات تجربة العيش على "الهامش"؛ و التعارض على هذا المستوى يكمن بحسبهم في الفرق الحاصل بين وجودهم الاجتماعي و الوضعيات التي يعيشونها وبين ما يفترضون أنها معايير "الحياة الحقيقية" في المدينة، وهي في غالب الأحيان معايير وقيم الفئات المحظوظة التي تتمثل في تحقيق الذات عبر الاستهلاك والعمل، ويقول الباحث المغربي عزيز خمليش اتصالا بهذا السياق:« الشخص ...الذي لا يستطيع الحصول على عمل - ولو مؤقتا في أغلب الأحيان، ويجد نفسه محاصرا بشبكة إعلامية واسعة تقدم له، في كل لحظة نماذج متعددة ولانهائية عن ظروف عيش أبناء المحظوظين داخل أرض الوطن وخارجه .إن هذا الشخص نادرا ما يكون " مبدئيا" في سلوكه وتفكيره » [90] وهذا ما جعل جل المبحوثين الذين استجوبناهم يعتبرون أنهم لم يكونوا قبل الوباء يعيشون" حياة حقيقية" يخشون عليها في زمن الوباء، في هذا الصدد يقول جمال (34 سنة ، يعمل في الترميق) " نحن موجودون فقط لحفظ التوازن فوق الكرة الارضية ... الدولة نسيتنا ولا تتذكرنا... أخرج إلى أحياء بئر قاسم والسويسي وحي الرياض وسترى الفرق ... أما نحن فمنسيون من الجميع من الدولة ومن الأحزاب... ولم نعد نعلم إن كنا مغاربة فعلا أم من دولة أخرى ".

وما يستفاد من هذه السلوكات من منظور السلوك العنيف (la visibilité du comportement violent) أن أفراد الهامش يسعون، بشكل من الأشكال، إلى مواجهة الدولة، واستفزازها؛ حيث يحتلون فضاءات عمومية وشوترع وملاعب ومقاهي كانوا يرتادونها في الزمن السابق على الوباء، وبعد الوباء حافظوا على نفس الشيء، وكأنهم باحتلالهم لهذه المواقع، إنما يطالبون الدولة والمجتمع المرفه، بالكف عن نهج سلوك اللامبالاة إزاءهم.

ويمكننا أن نقرأ عدم انضباط ساكنة الهامش لإجراءات الحجر الصحي، على أنه ليس مجرد تعبير عن حرمان فئة اجتماعية عريضة من موارد للرزق فحسب، وإنما هو احتجاج كذلك- وهذا هو الاساس- على الطابع الذي يتخذه توزيع الموارد بالمجتمع المغربي، والذي لا يخضع لمبدأ المنافسة والاستحقاق. إن المسألة، إذن، لا تتوقف عند مواجهة ساكنة الهامش لشكل من أشكال تدبير المدينة وإنما تتجاوز ذلك إلى مستوى استنطاق نظام المشروعية الذي يقوم عليه المجتمع كله(le problème de l’autorité).

والمغرب إذا كان يعرف انزلاقات خطيرة على مستوى الالتزام بالإجراءات في ظرفية لا تستحمل الأخطاء، فليس مرد ذلك في اعتقادنا إلى ابتعاد مغاربة المجتمع "غير المندمج " عن المعايير الاجتماعية والأخلاقية، و عجزهم عن تقدير حجم الخطر المحدق بهم بسبب قلة الوعي أو ما شابه ذلك، ففي مثل هذا التصور تغيير للأسباب بالنتائج، وإخفاء للأسباب العميقة

[90] عزيز خمليش،"الانتفاضات الحضرية بالمغرب، دراسة ميدانية لحركتي مارس 1965 ويونيو1981، الجزء الأول، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء، 2005.

التي تفسر عدم التزام جزء مهم من الساكنة المغربية، بل إن الأمر يرجع إلى اليأس الذي أصبح يتسلل إلى نفوس فرد الهامش في أعقاب ما تنهجه الدولة، وفي كل القطاعات التي لها علاقة بهذه الفئة الاجتماعية، لذا اتخذوا من وضعيات الحجر الصحي، وضعيات صراع وبحث عن معيارية مفقودة، تتيح إمكانية للعودة إلى الواقع ومساءلة البناء الاجتماعي مساءلة كلية غير ناقصة. ولعل غياب التوازن الذي خلقته الدولة بسياساتها ما بين مجتمع مندمج واخر على الهامش هو ما خلق خللا في الحالة الاجتماعية، وما فعلته فئة الهامش منذ الاستقلال إلى اليوم هو أنها عبرت عن رغبتها في الإسهام في تدبير "المدينة"؛ فالحالة الاجتماعية في صيغتها الطبيعية تعني وجود بدائل كامنة تصارع من أجل المستقبل ،والوضعية الراهنة لعدم الالتزام ماهي إلا تتويج لسيرورة اجتماعية يطبعها الصراع وتفتقر للتناغم والتجانس؛ تلك السيرورة التي حاولت الدولة طويلا نبذها مقابل التغني بقيم التجانس والتطابق والاشمئزاز من قيم الصراع والتنافس.

لكن هذا التراخي واللامبالاة يجعلان حنان، 25 سنة، طالبة جامعية بعلم النفس بجامعة محمد الخامس بالرباط، تعبر عن استيائها قائلة: "لا أفهم هل يستوعب هؤلاء حجم الخطر الذي نحن فيه، لا أفهم كيف يخرجون ويتحدثون من دون الأخذ بأي إجراء احترازي .. يتعاملون وكان لا شيء موجود والمشكلة أنهم يا حسرة "شباب[91] " . وهذا القول يجد مبرره في اختلاف التمثلات، فتمثل حنان الطالبة الجامعية ليس هو نفسه تمثل أبناء حيها، وهذا ما يجعلنا نستنتج بأن المجتمعات الهامشية لا تخلو هي الأخرى من تباينات لهويات فرعية قابلة للتماهي وفي نفس الوقت للتناقض، فبين ما تعبر عنه حنان من انضباط لإجراءات السلطة التنفيذية، وعدم اكتراث أبناء حيها يظهر بأن الحياة بالهامش لا تسير وفق نفس القواعد.

نفس الشيء عبر عنه محمد (30 سنة، عاطل بشهادة جامعية عليا) :" لقد جعلتني لامبالاة أبناء حينا أتصل بالشرطة مرارا وتكرارا لأبلغ عن هذا الاستهتار، بلغت لأنني أخاف على نفسي وعلى عائلتي، وهم باستهتارهم هذا يهددون سلامة الجميع وليس أنفسهم فقط"

[91] يقول عالم الاجتماع إميل دوركايم :« أن كل جماعة مضطرة اجتماعيا، لإيجاد اسم لها حتى تتحدد ويتم ضبطها، إن المجتمع حين يطلق اسما معينا على جماعة ما، فإنه، في ذات الآن، يعبر عن الصورة التي تحملها عنه تلك الجماعة ، وبالتالي فهو يساهم في تحديد دورها .ولأجل ذلك ،فان القيام بعملية تعريف أو إطلاق " اسم" لا يخضع لمنطق الاعتباطية والصدفة، بل هم نتاج لمعايير Normes، وعليه فان تغير الأسماء هو في الأصل دلالة على التحولات الطارئة على الوظيفة التي تشغلها جماعة ما »

Placide Rambaud .Sociologie rurale .recueil de textes .Ecole des Hautes Etudes en sciences sociales et Mouton et Co : paris – La Haye1976: p95.

واتصالا بهذا السياق يرى أوليفييه غالاند أنه من الأفضل تعويض مفهوم الشباب، بمفهوم الانتقال إلى " **سن الرشد"** حتى يتسنى القيام بتحليل سوسيولوجي موضوعي، وهنا سيتم الحديث عن الشروط الاجتماعية لولوج " حياة الرشد" بمعنى الحديث عن الشروط المهنية والاجتماعية والأسرية لهذا الانتقال .والتي تتغير باختلاف المجتمعات وحسب الطبقات .وفقا لهذا التفسير يحضر الشباب كمعطى متعدد حسب مقاييس ذات دلالة اجتماعية تهم أساسا تمديد فترة التعليم، و فترة الدخول إلى عالم الشغل، وهذه كلها عوامل تطرح ما أسماه الباحث المغربي عزيز خمليش " بشيخوخة الشباب" بكل ما يحمله هذا التوصيف من إحساس بالإحباط واليأس.

Olivier Galland /L'entrée des jeunes dans la vie adulte :Problèmes politique et sociaux ،La documentation française :n°794.5 decembre1997.P7-10

وتجدر الاشارة إلى أن محمد هو فاعل نشيط في حركة المعطلين الحاملين للشهادات العليا، وبالضبط بالحركة الكبرى المسماة بالمجموعات الوطنية الأربع للأطر العليا المعطلة[92]، وهو يخرج دائما في احتجاجاتها التي لم تنقطع منذ تسعينيات القرن الماضي، وناشط سابق بحركة 20 فبراير التي ظهرت في العام 2011، وكان دائم الانتقاد للتدخلات العنيفة التي تقوم بها السلطات الأمنية في حقهم . واستحضارنا لهذا المعطى هو بغاية إبراز أن التوتر بين الفئات المحرومة التي ينتمي لها محمد والأمن الذي يمثل "السلطة" ليس بتوتر بنيوي، بل هو حالة متحولة رهينة بالظروف التي تضفي عليه طابعا معياريا، إذ بات "مهمشو زمن كورونا" يتمثلون تدخلات الأمن كتدخلات عادلة وأن عنفها مشروع لفرض سلطتها، وهنا يظهر الاعتراف بالدولة، مما يدحض الصورة التي سادت حول مجتمعات الهامش بأنها مجتمعات رافضة للدولة، ويتبين على أن الهامش يعيش تجربته لا كتعارض مع الدولة، بل كمسافة إزاءها، وهو مشكل تاريخي في علاقة الدولة الأبوية بالمجتمع، واندحار الثقة في قنوات الوساطة والسبب راجع إلى الوعود السياسية والاقتصادية الكثيرة التي تكتسي طابعا موسميا وتوضع في البرامج الانتخابية للمنتخبين، في حين تغيب على مستوى الفعل الاجتماعي اليومي. وهو ما يؤشر على نوع من القطيعة بين مختلف قنوات الوساطة (الأحزاب السياسية، المجالس البلدية، النقابات ،الإعلام، الخ) وأجهزة الدولة(الحكومة، البرلمان، الخ) وبين الساكنة، الشيء الذي يعمل حسب ألان تورين على بلورة فكرة الصراع ضد الخصم.[93] وغياب بنيات التفاوض بين الدولة والمجتمع، وهي التي تحدث عنها الباحث عزيز خمليش فيما يخص حركتي مارس 1965 ويونيو 1981، وعبر عنها " **بالفراغات السياسية"** لذلك تأتي شهادات المبحوثين كتعبير عن التجافي الحاد بين هذه الفئة التي تحتاج إلى إشباع مادي حقيقي لا إلى مجرد تنفيس لاحتقان نفسي وبين سائر قنوات الوساطة التي تستمر في ترديد شعاراتها الإيديولوجية حول التغيير الشامل و الأوراش الكبرى من جهة، وأجهزة الدولة من جهة أخرى.

ومن النافل القول أن ظرفية الوباء كشفت عن أزمة مركبة تعصف بمؤسسات الدولة، ومن بين أبرز مظاهرها :

---

[92] حركة المعطلين الحاملين للشواهد العليا هي حركة احتجاجية، ظهرت في منتصف تسعينيات القرن الماضي، يلاحظ أنها عمدت منذ البداية إلى احتلال الفضاء العام، متخذة لنفسها مجالا للاحتجاج، وهو شارع محمد الخامس أمام مقر البرلمان في العاصمة الرباط، وهو المجال ذاته الذي لايزال لحدود اليوم مقرا رئيسيا لاحتجاجاتها التي لم تنقطع منذ ذلك التاريخ (لحظة تأسيس حركة المعطلين كانت سنة 1996.

لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع : راجع ايمان الرامي **الحركات الاحتجاجية الحضرية بالمغرب المجموعات الوطنية الأربع للأطر العليا المعطلة نموذجا، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، المجلد رقم 32، العدد 2، جويلية،2019.**

[93]راجع : ألان تورين: **نقد الحداثة**، ترجمة أنور مغيث، دط، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 1998 ،ص. 313.

Alain Touraine**, La voix et Le Regard**, Seuil, Paris, 1978, P.48.

ألان تورين، **ما الديموقراطية**، ترجمة عابود كاسوحة، دط، منشورات دار الثقافة، دمشق، سوريا،2000، ص .10.

ألان تورين، **براديغما جديدة لفهم عالم اليوم**، ترجمة جورج سليمان، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2011 ، ص. 1.

Jean Guy Vaillancourt, **mouvement ouvrière et nouveaux mouvements sociaux**: l'approche d'Alain Touraine note critique, cahiers de recherche sociologique, Montréal: département de sociologie, UQAM, n17, 1991, p. 217

Alain Touraine, **La conscience ouvrière**, seuil, paris,1968

[93] Alain Touraine, **La parole et le sang**, Odile Jacob, paris, 1988

أزمة شرعية: Crise de légitimité، وتتجلى في عدم القدرة على الحفاظ على شرعية التعاقد الذي يجمعها بالمجتمع، والتخفيف من حدة الضغط بإقامة علاقة وحوار سليمين بينهما، يهدفان إلى تفادي الاضطراب.

أزمة مشاركة Crise de participation، تتمثل في الشعور المتعاظم لدى شرائح اجتماعية واسعة بأنها مقصية من مشاريع التنمية. ويكفي أن نعلم أن نسبة الفئة العليا في المجتمع المغربي تشكل 8,5% من مجموع الساكنة، وهي محتكرة لأغلب الثروات [94]، ويقدم لنا محمد دويديش بعض المؤشرات الدالة، حيث 32% من نفقات الاستهلاك تخص ل 10% من الفئات الأكثر غنى ، بينما 2,6% فقط من هذه النفقات تذهب إلى 10% من الفئات الأكثر فقرا، كما أن 20% من الفئة الأكثر غنى تشكل 58,6% من زبناء التعليم العالي.[95]

- أزمة تكافؤ توزيع الخدمات والثروة / أزمة توزيع Crise de distribution: تتجلى في التفاوتات المجالية والفوارق الترابية بين الجهات في توزيع المداخيل والثروة.[96]

نتأدى من معطيات هذا التحليل إلى تسجيل عناصر محددة في موضوع مجتمع الهامش: أولها أن هذه الفئة المتذمرة لا توجد كمعطى أساسي في حسابات المسؤولين الرسميين عن تدبير الشأن العام أو صناع القرار التي يتبنى خطابها طروحات بديلة للسياسات المتبعة، فضلا على أنها تعيش نوعا من الاغتراب الدائم النابع من الشعور بالعجز وفقدان الإحساس بالوجود المنتج.[97] وما يزيد من تعميق الهوة هو نظرة صناع القرارات الاقتصادية والسياسية لهذه الفئات، والتي لا تخرج عن دائرة **" الفراغ الاجتماعي"**، كتعبير عن تدني مستوى وعيها، لذلك يتم التعامل معها من الناحية الاقتصادية ككم محدود [98]، ومن الناحية السياسية ينظر لها كمناطق خطيرة Zones à haut risque وفضاءات لا بد من حجبها عن الأنظار .

5- التعارض بين "النحن" و"الهم"

---

[94] R. Bourqia 2005. La stratification sociale ; Note de synthese ;P 25(Le Maroc possible 2005)

[95] M. Douidich . (2006) . Exclusion ; inégalité et pauvreté ; la transition sociale et ses déterminants ; P5 (Prospective Maroc 2030. http ; www. Hcp. Ma – publication Aspc.

[96] بالنسبة للتشخيص الذي قدمناه بخصوص تمظهرات أزمة الدولة يمكن الرجوع الى :

A. Saaf . L'hypothèse de la société civile au Maroc ; in la société civile au Maroc. Approches . SMER. Rabat . 1992. PP 11- 24.

A. Saaf ; Maroc ; l'espérance d'Etat moderne . Afrique . orient. 1999. P 98.

A. Ben Ali. Emergence de l'espace socio- politique et stratégie de l'Etat au Maroc. In Etat . espace et pouvoir local ; Réflexions sur le Maroc et les pays en développement . Edition Guessous . Rabat . 1991. PP 61-74.

P.R. Baduel. La production de l'espace national au Maghreb ; in Etat . territoire et terroirs au Maghreb ; C.N.R.S. Paris 1985. PP 3-47.

R. Gallisot . les émeutes . phénomène cyclique au Maghreb ; Rupture ou reconduction du système politique . in changements politiques au Maghreb . C. N. R. S . Paris . PP 29- 39.

[97] Yves Bavel ; La marginalité sociale. PUF. 1982. P 73.

[98] Ibid. PP 41-42.

يكمن الهدف من هذه الدراسة الميدانية في معرفة طبيعة التمثلات الاجتماعية للوباء داخل مجتمع الهامش، ومن المعطيات الميدانية التي تم استخلاصها من المبحوثين، والمشار إليها أعلاه، يتضح أن مجتمع الهامش له تمثله الخاص للظرفية الوبائية، حيث يتداخل الخوف والقلق مع اللاّمبالاة ومع التسليم بالقضاء والقدر، وهذا التعايش هو تجلي للعناصر المكونة لمجتمع الهامش، فهناك من جهة انخفاض درجة الوعي واتساع دائرة الأمية، ومن جهة أخرى هناك الفقر والحرمان .

وسبق أن أشرنا في عينتنا إلى وجود الأفراد القاطنين بالمناطق النائية، ومنهم حميد(39 سنة- أب لخمسة أطفال) ويقول جوابا على سؤال طرحناه لعينتنا حول سبل مواجهة إكراهات ومتطلبات العيش في زمن الوباء، وللإشارة فقد قوبل هذا التساؤل من أفراد العينة بكثير من الحسرة، وجاؤوا له بإجابات تؤكد حدة تفاقم الهشاشة الاجتماعية :"أنا عادة أذهب لوسط مدينة الحسيمة لأشتغل في مقهى، لكن وكما تعلمين المقاهي أقفلت، والحسيمة[99] وضعيتها معروفة فلا حاجة لأن نعيد ما سبق وأن عبر عنه الحراك ...باختصار الوضعية كارثية".

وكما هو معلوم، فقد شهدت منطقة الحسيمة احتجاجات كبيرة نهاية العام 2016، بسبب الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي تعيشها، والتي أعادت إلى الواجهة الإشكالات التنموية التي تعاني منها منطقة الريف المغربي ومستوى تصدي الدولة لها واحتوائها عبر مختلف سياسات الاندماج الاجتماعي. وتتعدد وتختلف مظاهر تهميش منطقة الريف المغربي، بشكل يصعب معه التفصيل في كل هذه المظاهر وعليه فإذا أخذنا على سبيل المثال التشغيل مقارنة مع المجتمع الريفي الفتي، ونسب الأمية، والخدمات الصحية باعتبارها أهم الأقطاب الإدماجية في المجتمع، سيتبين أن هذه المنطقة تعاني من تذبذب فرص الشغل ومن إكراهات حقيقية.

فبالنسبة إلى ساكنة الحسيمة، فغالبيتهم من الشباب أساسا وذلك وفقا للمعطى البيولوجي (المرتبط بالسن) بالدرجة الأولى حيث أن 27.9٪ من هؤلاء السكان لا يتجاوزون 15 سنة في عام 2014، ويرتفع وزن هذه الفئة العمرية في الأوساط القروية بنسبة 29,1% مقابل الأوساط الحضرية التي تنخفض بها إلى 24,1% .[100] وبالنسبة للفئة العمرية من 15 سنة إلى 59 سنة، فهي مرتفعة بالوسط الحضري بنسبة تصل إلى 66,4% مقابل 63% بالوسط القروي.[101]

[99] يوجد إقليم الحسيمة شمال المغرب، بمساحة تقدر ب 3350Km² ، في نصف المسافة بين طنجة والحدود الجزائرية. ويظل محاطا بعدد من المناطق. يطل على حوض البحر الأبيض المتوسط شمالا، وجنوبا يحده كل من إقليم تازة وتاونات، ومن ناحية الشرق إقليم الناضور، أما من جهة الغرب فيحده إقليم شفشاون . على المستوى الإداري، يدخل إقليم الحسيمة ضمن جهة طنجة تطوان الحسيمة ، وقد جاء هذا التقسيم بعد التقسيم الجهوي الذي تم اعتماده سنة 2015، إذ كان هذا الإقليم ينتمي سابقا لجهة تازة الحسيمة تاونات. يضم إقليم الحسيمة 5جماعات حضرية و 4 دوائر تضم 17 قيادة و31 جماعة قروية

Voir . https://www.hcp.ma/region-tanger/attachment/954564/

[100] الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

[101] نفسه.

وفي المقابل إذا ما نظرنا إلى واقع التشغيل، نجد أن معدل البطالة[102] مرتفع نسبيا بالمنطقة إذ تشير إحصائيات المندوبية السامية للتخطيط إلى أنه في الوقت الذي يبلغ معدل البطالة على الصعيد الوطني 10%، تتضاعف النسبة بالحسيمة لتصل إلى عتبة 21 %، أي بفارق 11% مقارنة بالمعدل الوطني[103] الشيء الذي يجعل سوق الشغل بالمغرب يتميز بفوارق اجتماعية وترابية قوية، حيث يجد الشباب الريفي، عدة صعوبات لولوج سوق الشغل، وغالبا ما يجدون أنفسهم بدون عمل وفي حالة اشتغالهم يمارسون مهنا هشة لا تتطلب أي تأهيل، ونادرا ما تكون مقننة بعقود مجحفة لا تضمن تغطية صحية أو تقاعدا بعد سنين من الخدمة وبالتالي لا تتوفر على أدنى شروط الحماية الاجتماعية. كما يجبر حاملوا الشهادات العليا منهم على شغل مناصب أقل من مؤهلاتهم ودرجاتهم العلمية.

إن الحسيمة، تبدو من خلال هذه الأرقام كنموذج مصغر يدل على تراكم إخفاقات الدولة ومحدودية سياساتها في مجال التنمية .وهو ما يظهر بوضوح من خلال أهمية عدد الشباب العاطل، والهجرة، وارتفاع معدلات الفقر والتهميش. إننا أمام مجال يعرف تمركزا سكانيا فتيا كبيرا دون أن يقابله تطور على مستوى القدرة الإنتاجية.

في حين يمكن الوقوف على أزمة التعليم بشكل واضح والذي يمكن قياسه من خلال مؤشرين مهمين وهما: عدم الالتحاق بالمدرسة و الانقطاع، بلغت نسبة الأمية 29.4% في 2004 ، و في نفس السنة740 127 فرد والبالغين من العمر 10 سنوات فقط صرحوا بأنهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة مما يجعلها في الإجمال تصل إلى نسبة ,3% 39. وبشكل عام يمكننا الوقوف على ضعف التمدرس من خلال الجدولين الآتيين .

الجدول رقم1: نسبة الأمية (٪) الخاصة بالسكان الذين تتراوح أعمارهم بين 10 وما فوق حسب الجنس ومكان الإقامة، مقاطعة الحسيمة، عام 2014

	وسط الاقامة		
الجنس	**حضري**	**قروي**	المجموع
ذكر	16,5	30,8	**25,8**
انثى	38,1	60,5	**52,7**
المجموع	27,3	45,7	**ا39,3**

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

الجدول رقم2 : معدل الأمية (٪) حسب الفئة العمرية والجنس ، مقاطعة الحسيمة ، عام 2014

الفئات العمرية	ذكر	أنثى	المجموع

[102]تعتبر البطالة من أهم عوامل الفقر والهشاشة والإقصاء الاجتماعي وفقا لمنظور برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، وقد أكد تقرير الأمم المتحدة حول التنمية أن نسبة أو معدل العمل الهش في شمال إفريقيا وصل إلى 33% سنة2009، واعتبر نفس التقرير أن من أهم مسببات الفقر في المغرب هي عدم المساواة في توزيع الثروة و المداخيل

[103] Nations Unis.2011. objectifs du Millénaire pour le développement .Rapport de 2011.Eliminer la pauvreté c'est possible 2015.p8.

R/Bourqia. La stratification sociale. Note de synthèse (le Maroc possible 2015).p25.

5,3	6,4	4,3	10-14 سنة
15,1	21,0	9,5	15-24سنة
34,6	51,2	19,4	25-34سنة
54,2	73,0	34,6	35-49سنة
75,0	91,3	57,1	50 سنة فما فوق
39,3	52,7	25,8	**المجموع**

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

وبموازاة مع هذه المؤشرات، يحضر مؤشر الفقر الذي يرمز لحالة من الحرمان الاجتماعي والاقتصادي تعيشها شرائح اجتماعية مهمة قابلة للقياس ديموغرافيا . ويعتبر مفهوم الفقر من المفاهيم المتعددة الأبعاد، فهو يرمز من جهة إلى عدم القدرة على تلبية الحاجات الضرورية - الأساسية كالسكن والأكل والتعليم الخ، ومن جهة أخرى يحيل إلى عدم امتلاك أي شيء، ومن جهة ثالثة يرتبط بالدخل، علاوة على كونه مرادف للشعور الشخصي للفرد بأنه يعيش وضعية فقر .[104]

جدول رقم 3 : المؤشرات الجهوية للفقر والعجز الاجتماعي .

مؤشرات الفقر والعجز الاجتماعي 2007 (%) جهة تازة الحسيمة تاونات/ المستوى الوطني المجلس الاعلى للتخطيط .							
الوسط الحضري	معدل العجز الاجتماعي	الوسط الحضري	**مؤشر شدة الفقر**	الوسط الحضري	مؤشر الحجمية	**الوسط الحضري**	معدل الفقر
16,2	20,8	0,3	**0,7**	1,1	2,2	**5,7**	10,7

المصدر: المجلس الأعلى للتخطيط لسنة (2007).

من خلال المؤشرات المبينة أعلاه يتضح أن ظاهرة الفقر تمس نسبا مهمة من سكان الجهة، كما أن نسب العجز الاجتماعي تظل مرتفعة لتصل إلى 20,8%، وهو ما يظهر الحجم الكبير للعجز والخصاص الذي تعاني منه شرائح اجتماعية مهمة من سكان الجهة. على أي، تبقى هذه إطلالة عامة وسريعة على جزء من المعطيات الإحصائية، التي تظهر محدودية الموارد بأحد أبرز مناطق " الهامش المغربي"[105]

معطيات تجتمع لتجمع من زمن الوباء زمنا عسيرا على ساكنة الهامش، تقول في ذلك نعيمة (31 سنة- أرملة وأم لأربعة أطفال):" أنا المعيلة الوحيدة لأطفالي الذين يعيشون مع والدتي في البادية بمنطقة الغرب، أشتغل كمساعدة منزلية هنا في الرباط، لكن بعد انتشار الوباء طلب مني صاحب المنزل أن أتوقف عن القدوم إلى منزله بسبب الاجراءات التي

[104] عزيزة عبد الله النعيم ، الفقر الحضري وارتباطه بالهجرة الداخلية ، دراسة اجتماعية لبعض الأحياء الشعبية الداخلية في مدينة الرياض . مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى بيروت 2009. ص87.

[105] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع : ايمان الرامي، الاحتجاج ومؤشرات الفقر بحواضر المغرب: حالة إقليم الحسيمة بالريف المغربي :مساهمة في سوسيولوجيا التنمية بالمغرب، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية جامعة زيان عاشور بالجلفة، المجلد الرابع ، العدد الاول، مارس 2019.

عملت بها الدولة، ثم هناك حرص عند العائلات على تجنب أي علاقة بالعالم الخارجي والخوف من أن تحمل المساعدة المنزلية الفيروس إلى بيوتهم .. واليوم أنا مطالبة بتسديد ثمن الكراء " ويضيف سعيد على كلامها (41 سنة، رب أسرة من ثلاثة أطفال : "زيادة على أنني توقفت عن العمل البسيط الذي كنت نزاوله و أضمن به الحد الأدنى للبقاء، أنا لم أجد المال لتسديد فاتورة الماء والكهرباء ، ولهذا السبب عمدت الشركة المذكورة إلى حرماني منهما، اليوم أنا لا أتوفر على أهم مورد في الحياة وهو الماء"

من الشهادات يتضح التدني الشديد للوضع الاجتماعي لأفراد عينتنا، ذلك أن جلهم وباختلاف مساراتهم الحياتية ووضعياتهم هو ذو وضع اجتماعي بئيس. وتتكون الفئة الغالبة أساسا من أسر أصبح فيها الأب عاطلا وتكون الأم عاملة في المقاهي أو في المطاعم أو في البيوت، وهي أسر لا مورد لها غير أجرة العمل الهش ، التي لا تتعدى في هذه الأعمال 1000 درهم .

كما أن وجود في الغالبية أسر ذات أربعة أطفال إلى ستة أو أكثر هو مؤشر يفاقم من حدة الهشاشة الاجتماعية حيث لا تتوافق الموارد الاقتصادية والاجتماعية مع معدل الانجاب. مما يدل على حجم الحاجات التي تتطلبها الأسرة قياسا إلى ضعف موارد العيش وهزالتها، زادتها حدة أزمة كورونا ببعثرتها للتوازن الهش الذي كانوا يعيشون عليه فاليوم وتحت تأثير الأزمة الشاملة تزداد أوضاعهم سوءا.

ومهما تكن الاختلافات الموجودة، فإن جل المستجوبين يقدمون أنفسهم كفاعلين في مجتمع الاستهلاك، ويطالبون بحقهم فيه، فهم يتطلعون إلى حياة أكثر رفاهية، لكن ليس لديهم الدعامات المادية والرمزية لتحقيق ذلك. وهذا الأمر يثير لديهم شعورا بالفجوة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، أي أن هناك تضخم لمنسوب "الحرمان النسبي". ويقصد بهذا الأخير في هذا المستوى ثلاث مظاهر مترابطة أولها الشعور بالظلم و اللاعدالة، وثانيها أن الحرمان ليس انعكاسا بسيطا لظروف العيش الموضوعية ولكنه بناء رمزي سلبي لهذه الظروف يقوم على المقارنات الاجتماعية. وبالتالي تداخل الاكراهات البنيوية مع التجربة الذاتية، وقد سبق وأن اعتبر رايمون بودون في هذا الصدد، بأن تمرد الأفراد لا علاقة له بأوضاعهم السوسيو اقتصادية الموضوعية، بقدر ما له علاقة مع الوضع السوسيو اقتصادي الذاتي، أي شعور الأفراد بالحرمان تجاه أمور يزعمون أن لهم الحق فيه[106]

6- الوباء وتعميق الشعور بالإقصاء:

تضع الشهادات المسجلة للمبحوثين مجتمعنا أمام هشاشة الأوضاع الصعبة و أشكال التشغيل الهشة، لينضاف إليها اليوم وباء كورونا الذي بموجبه اضطرت الدولة إلى فرض حالة الطوارئ الصحية لشهر ثم شهرين ثم 20 يوما إضافية، أي من 20 مارس إلى 10 من يونيو . الأمر الذي جعل تجربة المعاناة الاجتماعية تتفاقم، بعد العجز على مستوى الحصول على قنوات المساعدة والدعم، وما نقصده هنا هو عدم توفر الوسائط الاجتماعية الكفيلة بضمان الرعاية على مستوى السياق الاجتماعي في زمن الوباء من أجل تحفيض صعوبات الحياة وخفض إكراهاتها . اتصالا بهذا السياق يعتبر Vincent de Gaulejac المعاناة الاجتماعية على أنها "نتيجة للتناقضات الاجتماعية التي تخترق الفرد في وضعية معينة، الأمر الذي

[106] Raymond Boudon (2009): Effet pervers et ordre sociale; 3eme édition; quadrige

يتسبب في نشوء صراع في اللحظة التي لا يستطيع فيها الفرد الخروج من وضعيته[107]. وبهذا يكون الفرد في وضعية ازدواجية وحدوث الصراع يكون نتاجا لأسباب منها ما هو موضوعي وما هو بنيوي، ليكون الفرد غير قادر على سد حاجاته إلى الدرجة التي تصبح فيها الحياة اليومية ومتطلباتها عبئا على الفرد حين لا يجد الموارد اللازمة لإشباعها، لاسيما في ظل تآكل مشاعر التضامن التقليدية، ليصبح لكل فرد شؤونه الشخصية والخاصة، لتصبح الحياة مطبوعة بالعنف بشكليه المادي والرمزي.

كما يرى هؤلاء المستجوبون بشكل ضمني أن انتماءهم إلى هذا "الهامش" على حد تعبيرهم، هو جزء من الصورة المعمقة اللامساواة والشعور بالدونية مقارنة بسكان الأحياء الأخرى الراقية، ويقول عمر (27 سنة- عاطل) " هل في اعتقادك هذا حي يليق للسكن، أنظر التجمعات في كل مكان، البؤس في كل شبر، وكل شيء على مرأى ومسمع رجال الأمن والسلطات، على عكس الأحياء المرفهة هناك سهر على تطبيق إجراءات الحجر الصحي ... إنه التمييز و التجاهل واللامساواة حتى في زمن الوباء " وهو ما يعني بأن التمايزات المجالية داخل الفضاء الحضري عامل من عوامل «اللامساواة والهامشية الحضرية»

عند قراءة المعطيات المشار إليها، يتضح الإحساس بالخيبة والإحباط لدى العينة المستجوبة، وهو إحساس يحدد العلاقة بالواقع، لتتبدد بذلك مقولة " الواقع الآسن" وفقا لألفرد شوتس[108] فالأصل هو أن الواقع بناء اجتماعي، وبذلك تغدو دراسة تمثلات ساكنة مجتمع " الهامش" حول ذواتهم مدخلا لتسليط الضوء على حقيقة التراتب الاجتماعي. ذلك ما بدا لنا واضحا في سياق البحث الذي قمنا به من والوقوف على الوصف الذي يعطيه المستجوبون لواقعهم، فهو في رأيهم "واقع بائس" في مجتمع في قلب التحولات.

إن ما يظهر من خلال إدارة الدولة ومختلف المؤسسات التابعة لهذه الأزمة مركزيا و جهويا هو أن هناك قصور كبير في التدبير الكمي والكيفي للجائحة، وإقصاء من النواحي الاجتماعية، و المادية ونقص في القدرات السياسية للتصدي لمطالب عموم المواطنين، الكل وجه أنظاره نحو المؤسسة الملكية والسلطة المركزية ورئاسة الحكومة، في حين ظلت باقي المكونات المنتخبة على الهامش، هذا ما يؤكده عيسى (53 سنة، رب أسرة من 5 شباب) " أين هي الأحزاب التي نصوت عليها وأين هم أولئك المستشارون الذي يأتون للتوسل إلينا للتصويت عليهم" الشيء الذي يؤشر على الابتعاد التام عن المؤسسات التقليدية وضيقها بمطالب الساكنة، إن لم نقل عجزها عن إيجاد إجابات شافية لمطالبها. و مرة أخرى وهذه المرة بسبب الوباء، يتضح تراجع المؤسسات التقليدية على القيام بوظيفتها السابقة كموجه ومؤطر للحركية الاجتماعية وأن هذه القنوات التي كان من الممكن أن تضطلع بأدوار ريادية في هذه المرحلة نظرا للإمكانيات المهمة المرصودة لها ليست سوى مجالات لتراكم الاخفاقات .

7- عندما ينضاف الوباء إلى التشغيل الهش :

[107] Vincent de Gaulejac, «De la souffrance du mal être,» dans: Florence Giust-Desprairies et Vincent de Gaulejac, dirs., La Subjectivité à l'épreuve du social: Hommage à Jacqueline Barus-Michel, changement social (Paris: L'Harmattan, 2009), p. 192.

[108] Alfred Schütz, Le Chercheur et le quotidien: Phénoménologie des sciences sociales, traduit par Anne NoschisGilliéron; postface et choix de textes par Kaj Noschis et Denys de Caprona; préface de Michel Maffesoli, méridiens klincksieck; 3 (Paris: Klincksieck, 2008).

قبل الوباء، كان غالبية أفراد عينتنا يشتغلون بالاقتصاد "اللاشكلي"، وكانوا يعملون من خلاله على إدارة إكراهاتهم البنيوية، لكن فجأة اصطدموا بحدث أربك معيشهم اليومي وأخل بتوازنهم الهش على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية وكشف معاناتهم، وبسبب العيش على هامش المدينة وهامش العمل الرسمي والمهيكل في ظرفية استثنائية جعلت شوارع المدينة تبدو فارغة، كانت أحياء الهامش مكتظة رغم أوامر الحجر الصحي وفي ذلك الكثير من الدلالات التي تطرح اليوم أمام أنظار الدولة المغربية في وقت لا يمكن التغاضي عنها بخصوص فئات عريضة من الهرم الاجتماعي توجد خارج الحياة الاجتماعية وتواجه الاقصاء بصورة يومية.

سعيدة (54 سنة من ضواحي الخميسات)، كانت توفر لعائلتها 1500 درهم، تقتطع منها كلفة التنقل وسومة الكراء والماء والكهرباء لكن التوقف عن العمل إكراه صعب كما توضح سعيدة قائلة: "أجبرت على التوقف عن العمل بأحد الضيعات الفلاحية وتلك خسارة مالية لي ولعائلتي، تقدمت بطلب الحصول على مساعدة اجتماعية بعدما أعلنت الدولة على أن المواطنين الذي يتوفرون على بطاقة RAMED[109] يمكنهم الاستفادة، لكن ظل طلبي من دون جواب" .

قياسا على شهادة سعيدة عن تعطلّ العمل، تعيش الاف النساء نفس هذه الأوضاع فهن ضحايا عمل في ظروف قاسية و بأجور ضعيفة دون حماية اجتماعية كافية، ومن دون أي ضمان اجتماعي، إنها وضعية موغلة في التهميش تظهر بشكل جلي على سطح الحياة الاجتماعية. و معاينة حالة الإقصاء والتهميش التي تعاني منها النساء العاملات في الضيعات الفلاحية بعد إغلاق الأبواب أمامهن بسبب الوباء، ما يجعلنا نؤكد أن الظروف الحالية التي تعمل فيها المرأة العاملة في القطاع الفلاحي تجعلها ضحية لآفتين: الأولى آفة الاستغلال خلال مسارها المهني والثانية آفة الإقصاء الاجتماعي والتهميش عند قطع العلاقة المهنية بشكل تعسفي من دون توفير أي ضمانات بديلة . وتوقف العمل في هذا القطاع يطرح مشكل اقتصادي و اجتماعي حقيقي في قلب هذا المجتمع والاقتصاد غير المهيكلين.

في مستوي آخر من المهم أن نسلط الضوء على قطاع آخر، يشكو العاملين به العديد من المشاكل، ونقصد هنا قطاع "الكابلاج" (الوحدات الصناعية لصناعة أسلاك السيارات) الذي توجد وحداته بالعديد من المدن، منها وحدتين بجهة الرباط – سلا القنيطرة، والذي يوجد عماله في زمن الوباء في الصفوف الأمامية للخطر، فالمشاكل التي يتعرض لها العمال في هذا القطاع أصبحت ترتقي إلى عنف ممنهج ومقنن من قبل أصحاب القرار في مختلف المستويات داخل هذه الصناعة، وبتواطؤ من الدولة، التي عبدت الطريق، من خلال ترسانة كبيرة من القوانين والتشريعات، الإطار الملائم لاستغلال اليد العاملة في هذا القطاع، وذلك عبر تقنين أشكال العمل الهش من خلال تبني مبادئ اقتصاد السوق المحررة من كل القيود . وكما لا يخفى "لقد وفر منوال التنمية الحالي المنبثق عن سياسات الإصلاح الاقتصادي الهيكلي، التي فرضتها العولمة، الإطار الملائم لهشاشة العمل، إذ وفرت الدولة كل التشريعات القانونية الملائمة لمصالح رأس المال على حساب اليد العاملة. لقد أخضعت قوة العمل تدريجيا لآليات اقتصاد السوق المحررة من كل القيود والتي تتعامل مع اليد العاملة كبضاعة تخضع لقانون العرض والطلب دون أن تراعي هذه الآليات الحقوق الأساسية لليد العاملة التي نصت عليها كل العهود والمواثيق الدولية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، وحقوق الإنسان عامة."[110] وفي هذا الاطار تم النص على أشكال جديدة من العلاقات المهنية – التشغيلية والتي كرست هشاشة العمل مثل العمل بعقود محددة وعقود المناولة وعدم ترسيم العمال

[109] بطاقة تخص نظام المساعدة الطبية.

[110] إنتهاكات الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمرأة العاملة نموذج يهم نساء النسيج من إنجاز حسين منير http://www.ftdes.net/rapports/textile.ar.pdf

... الخ. فضلا عن ذلك فكل ما وفرته الدولة المغربية لجلب المستثمرين الخواص وكل الضمانات والحوافز، كان ذلك بالدرجة الاولى على حساب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، و عليه فكل التشريعات القانونية التي وضعتها الدولة أمام المستثمرين الخواص وفرت الأرضية الملائمة لانتهاك حقوق العمال مهما كانت وضعيتهن المهنية، سواء أكان في إطار العقود محددة المدة أو غير المحددة، علاوة على تساهل التشريعات القانونية مع الانتهاكات المسجلة في حقوق العمال والشغيلة .

ويبرز ضعف الدولة أمام الاستثمار الخاص، وخاصة الأجنبي منه، وعجزها عن ضمان حقوق العمال في زمن الوباء بشكل جلي، بحيث يوميا تأتي العديد من الفيديوهات التي توثق لانتهاكات بالجملة بالوحدات الصناعية الخاصة بالنسيج الموجودة بالدار البيضاء، والتي تحولت كما نعلم جميعا إلى بؤر تسجل إصابات خيالية يوميا جعلت جهة الدار البيضاء الكبرى تتصدر مجموع الجهات المغربية من حيث عدد الاصابات. لتتكالب سياسات الدولة مع السياسات النيوليبرالية المتوحشة لتسلط إكراهات مزدوجة اقتصادية واجتماعية على هذه الشريحة الاجتماعية الهشة.[111]

أعوان الحراسة العاملين كذلك بموجب عقود محددة زمنيا فئة أخرى يسلط عليها زمن الوباء الضوء، يقول هشام :"الطلب اليوم متزايد بشكل كبير علينا لكننا نعمل تحت خوف مزدوج من المرض في غياب أي اهتمام من طرف المشغل، وخوف في حالة التوقف عن العمل من عدم وجود أي تغطية وضمانة اجتماعية وعددنا كبير في القطاعات الصناعية والخدماتية" نفس الشيء بنفس للعاملين بوحدات الاتصال les centres d'appels، تقول إيمان (26 سنة، خريجة التكوين المهني وإنعاش الشغل (OFPPT) " لا يمكن تصور الظروف التي نشتغل فيها، إننا نشتغل بشكل يومي مثل العبيد من دون أي ضمانات وتتجاوز ساعات عملنا العدد القانوني، وفي زمن الوباء اعتقدنا أن المشغل سيأخذ الأمر بعين الاعتبار لكن لا شيء تغير فلازلنا نشتغل في نفس الظروف وربما أكثر سوءا، إنهم يتعاملون معنا كالعبيد ولا يهم غير منطق الربح"

هذه الشهادات تبرز صعوبة تصور المستقبل لدى قطاعات واسعة من ضحايا التشغيل الهش و مجتمع الهامش، وهي تجربة نفسية و اجتماعية قاسية تتداخل فيها عناصر الحيرة و العجز والترقب، وتغذوا مشاريعهم الشخصية أمرا غير يقيني ويولد لديهم إحساس دائم بالضيق والحنق الدائم، الشيء الذي يجعلهم يخوضون تجربة اليأس الاجتماعي، إذ كثيرا ما يتحدثون عن وضعيتهم بإحساس يشوبه الاحباط، فيرى جلهم أنهم " منسيون" .

ما يتضح أمام جائحة كورونا هو أن اللاّمساواة تجعل المجتمع لا يواجه الصعوبات و الأزمات بنفس الإمكانيات و نفس الاحتياطات، الشيء الذي يسهل إظهار المشاعر بغياب العدالة[112]. ولعل ذلك ما عبر عنه عالم الاجتماع آصف بيات حين أشار إلى أن بسطاء الناس يعملون على تغيير الواقع الذي يعيشون فيه من خلال فرض سلطتهم على المجتمع الذي ينتمون إليه، فيعاكسون سلطة الدولة كلما سمحت لهم الفرصة، وتلك هي طريقتهم في البقاء. والفعل اليومي "للنزال" الذي عايناه بمجتمع الهامش مع الدولة لا يمر بيسر وسلاسة، وهو ما يجعل الحجر "الصحي" غير صحي في نظر الكثيرين ممن يعيشون الهشاشة ويخافون ما هو مادي مرئي " الجوع" أكثر من خوفهم من عدو غير مرئي "وباء كورونا" . لذلك لا يوجد

[111] ينظر بيير بورديو للنيوليبرالية على أنها اتجاه يقوم أساسا على التدمير المنهجي لكل ما هو جماعي، كاتجاه مفرغ من البعدين التاريخي والاجتماعي، حيث أضحى السوق من حيث هو حقل لتبادل المصالح المسيطر الأول على الحياة الاجتماعية، والقائم أساسا على الربح السريع والمنافسة والحركة السريعة لرأس المال. وهو ما دفع ببورديو لطرح سؤال الاجتماعي والتأكيد على ملحاحية الحركات الاجتماعية.

[112] Manuel Boucher et Alain Vulbeau, dirs., Emergences culturelles et jeunesse populaire: Turbulences ou médiations?, débats jeunesses (Paris; Budapest; Torino: L'Harmattan, 2003)

تطابق بين شعار الدولة (خليك فدارك- لنلزم منازلنا) التي تخلت عن التكفل بالقطب الاجتماعي تحت توصيات صندوق النقد الدولي، وبين منطق الانسان في وضعية هشاشة (نخرج نجري على الخبز – يجب الخروج للركض خلف الخبز)، وبرأي نوربت الياس لا تحافظ التوليفة الاجتماعية على ذاتها إلا بمحافظها على توازنات هشة، و شكوى المواطنين من قلة الموارد المالية صعد إلى الأعلى هشاشة التوازنات التحتية للمجتمع خاصة في زمن موبوء.

من جهة أخرى يصبح للأزمة أبعادا سياسية حين يقترن الحصول على المساعدة الاجتماعية من مواد غذائية بالمحسوبية والزبونية ومدى القرب من دوائر السلطة المحلية (أعوان السلطة) ، فهو يطرح مشكل فساد السلطة في نظر المهمشين والتستر على قواد ظهروا بالصوت والصورة وهم يختلسون سلع الباعة.

8- الأحياء الشعبية من منظور علمي :

عبر كثير منا عن استغرابه من الصور المنقولة في زمن الوباء من مجالات الهامش مثل الأحياء الشعبية، التي أظهرت تجمعات بشرية هائلة في الأسواق و أمام مكاتب البريد ووكالات الضمان الاجتماعي طلبا للمساعدة. كما اتهمها البعض من منطلق أبوي فوقي بكونها غير مسؤولة ولا واعية ما جعلها موضوع غضب لكون تصرفها يشكل خطورة على المجتمع بفرضية إمكانية التسبب في توسيع دائرة الوباء و انتشاره. يتخذ التسرع في لغتنا المتداولة، لاسيما عندما نكون بصدد الحكم على سلوك يندرج في إطار الأخلاق والمعاملات، طابعا سلبيا؛ على اعتبار أن المرجع الذي نعود إليه في تقييمنا لطبيعة الخروج عن الجماعة هو جملة المعايير الأخلاقية والقواعد الاجتماعية التي تمثل بالنسبة للجماعة مثال الصواب. ولفهم حقيقي وعميق للخصوصية المشكلة لسلوك الأفراد و المجموعات داخل الأحياء الشعبية في زمن الوباء، وللتقرب من الكيفية التي تعاطى بها سكان هذه الأحياء و خاصة الشباب منهم مع إجراءات الحجر الصحي و قوانين الحياة الاجتماعية التي دعت إليها الدولة بناء على توصيات منظمة الصحة العالمية، استقينا بعض الشهادات:

سعاد 23 سنة تقطن رفقة والديها وأشقائها الأربعة بحي الفرج (دوار الحاجة – وهو واحد من أكثر الأحياء الشعبية كثافة سكانية بمدينة الرباط) : " نكتري غرفتين، غرفة ينام فيها والداي، والأخرى أنام فيها برفقة أربعة أشقاء ذكور وكلهم شباب بين 24 و 33..."

نبيل شاب آخر من حي أبي رقراق والذي كان حيا صفيحيا إلى زمن قريب (يعرف بحي دوار الدوم بالعاصمة الرباط) يقول: "نقص الموارد المالية هو الذي يجعل الناس لا يستطيعون الالتزام بالحجر الصحي..."

هذا المستوى من الشهادات يظهر أن معاناة الأحياء الشعبية في زمن كورونا سوسيو-اقتصادية مرتبطة بطبيعة السكن في هذه الاحياء وبخصائصها الديمغرافية ثم بمؤشرات الفقر المتعدد الأبعاد. يوجد مستوى ثان يوازيه، يقول أحمد (قاطن بحي الرشاد) " لا أستطيع الجلوس بالبيت 24/24 لابد من أن أرى أصدقائي الذين تعودت على الجلوس معهم في المقاهي ومشاهدة مباريات كرة القدم ..." وهذه الشهادة تبين بأن الأحياء الشعبية هي مجال لبروز الهويات الجماعية التي تمكن ساكنتها من إعادة تركيب الموجهات الهوياتية المفتقدة في ظل تجربة الإقصاء الاجتماعي، وغالبا ما يصبح الانتماء المجالي المشترك في الأحياء الشعبية عبارة عن رابط حميمي يعكس آليات التكيف الاجتماعي. habitus بالمعنى الذي يورده عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو بخصوص ديناميكيات التكيف الثقافي والسلوكي في اتصال بموقع الفرد ضمن النظام الاجتماعي. إذ بغض النظر عن درجة الوصم والصعوبات الشخصية، يعاش الحي الشعبي بوصفه فضاء مشتركا "لجماعة تشترك في نفس المصير" بتعبير ميشيل مافيزولي.

هكذا إذن نعاين ومنذ بداية الوباء توترا يوميا بين من هم داخل المدينة الرسمية حضريا و أولئك القابعين خارج المدينة، أي سكان المجتمع الهامشي والسكن العشوائي ، توتر يجد تفسيره في مداخل متعددة منها ما هو اقتصادي واجتماعي ولكن كذلك من جوانب أخرى تهم العلاقة بين فرد الهامش والدولة ومدى الثقة في خطاباتها وممارساتها. لذلك يبدو أن فرض "سلطة" وضعية استثنائية داخل مجتمعات الهامش يصطدم بعقبات من نوع آخر لا يمكن عزلها عن السياق التاريخي لتشكل هذه الأحياء، حيث بقيت الأحياء الشعبية و الهامشية محافظة على نوع العلاقات والروابط التقليدية التي تجمع ساكنيها، مقابل الأحياء الجديدة التي شكلت على أساس النجاح الفردي والارتقاء الاجتماعي بفعل المصعد الاجتماعي للمدرسة هذا ما يمنح لكل توزع للسكان داخل فضاء ما مميزاته التي تولد علاقة مع الدولة لاتشبه باقي العلاقات . لذا فشعار "بقا في دارك- الزم بيتك " هو شعار لم يكن من السهولة أن يجد أذانا صاغية بمجالات هي أساسا بنيت على التصادم المادي مع السلطة للظفر بالمجال.

في هذا السياق، يسود شعور عام بخطر فقدان الوحدة والتماسك الاجتماعي داخل مجتمع مهدد بالوباء، ويصبح الخوف من الانزلاق نحو الكارثة المبدأ الرئيس للتدبير الاجتماعي والسياسي، وتصير الأساليب المعمول بها من طرف الجماعة للتعامل مع مختلف أشكال ابتعاد الهامش عن القواعد الاجتماعية والمعايير الأخلاقية هي عدم التفهم و الدعوة للعقاب. إن ما تجدر الإشارة إليه هاهنا، هو أن الشعور بالخوف على وحدة الجماعة وهويتها يتخذ لدينا طابعا ذاتيا؛ لكونه يهم الحكم على الآخر القريب الذي يوجد في تمثلاتنا و نحمله ونبني له تصورا وفقا وتبعا لشروطنا الذاتية. ويكفي أن نعلم أن صراع الهامش مع الدولة هو صراع " وجود" أكثر مما هو صراع " حدود".

ومن غير المقبول علميا وعمليا الحكم على مجال الهامش بأنه مجال غير مسيسي، بل على العكس فما لاحظناه من دراستنا هذه، ومن حاصل المقابلات التي أجريناها هو أنه مجال بصدد بلورة أشكال تسيسه الخاصة وإلى جانب توظيفيه في وقت سابق موسيقى الراب، فن الشارع، مجموعات الأتراس التي استلهمت مضامينها من وضعية الفاعل الاجتماعي أمام دينامية سوسيو- اقتصادية، أنتجت العزل الحضري والتهميش الاجتماعي) فهو كذلك بصدد تبني خطاب حقوقي وسياسي يستند إلى الدستور الذي جاء بعد 2011 ونص على مبدأ المساواة بين الجميع، و قيم العدالة الاجتماعية والمجالية، وخلق مساحات تمكنه من أن يكون مسموعا ومرئيا، ليعبر عن رفضه لأوضاع معينة في المعنى والواقع وعلى هذا الأساس، سجلنا وجود شبه وعي اجتماعي وسياسي للهيمنة المعيشة، يكشف واقع الهشاشة الذي تعيشه فئات عريضة من عموم المواطنين المغاربة في قاع المجتمع وتدفعنا للوقوف على تداعيات هذا الاقصاء الاقتصادي والاجتماعي .

خلاصة عامة:

تصل بنا استنتاجات هذه الدراسة إلى التأكيد على أن ما عاشه المجتمع المغربي ويعيشه في زمن الوباء يدل على أن الوعي بالتنمية المحلية والترابية و شروط العيش الكريم أضحى وعيا متجذرا عند المغاربة وساكنة الهامش تحديدا، والخطأ يكمن في الاستهانة بأهمية هذه مطالب هذه الفئة باعتبارها عاصفة عابرة، لأن وجودها دليل على فشل الدولة والأجهزة المرتبطة بها في تدبير ملفاتها التنموية، و تأطير المجتمع وتدبير شؤونه الملحة، كما أنها مؤشر على أن البنى والمؤسسات القائمة لا توفر إمكانية التعبير عن حاجيات فئات مهمة من المجتمع ،فالتعليم مثلا لم يعد يفتح المجال أمام الحركية الاجتماعية بينما الملاحظ أن سوق الشغل أصبح محاصرا نتيجة لكثير من العوامل من بينها الإكراهات المفروضة على المغرب وعلى نسيجه الاقتصادي كالمديونية و إملاءات صندوق النقد الدولي...، ولذلك تأتي هذه المطالب في شكل تعبير عن تصدعات أفقية وعمودية تعني المجتمع برمته. و ما يزيد من تعميق الأزمة هو غياب سياسات اجتماعية دالة على الدولة الاجتماعية، دولة الرعاية التي تعنى بتوفير حياة الرقي الاجتماعي المعمم وضبط التوازنات الاجتماعية، فالفشل الذي تشكو منه؛ يجد تفسيره بالدرجة الأولى في الاختيارات السياسية المتوالية التي أدت إلى تفاقم الفوارق الاجتماعية بين فئة محظوظة وفئات مقصية. لذا نعتقد أن مسار بناء الدولة الاجتماعية بالمغرب يعرف اختلالات واضحة تظهر بجلاء من خلال مستوى الفعالية والتمويلات وتراجع العمل العمومي، و من نتائجها عدم امتلاك الدولة للقدرة على توزيع الخدمات الاجتماعية، ومن أبرز مظاهر هذا العجز تفاقم الصعوبات في احتواء الفئات المعوزة. في ظل سياق يتزايد فيه عدم المساواة. ولذلك، غالبا، ما يتم وضع برامج وسياسات عامة لا تتماشى مع مطالب وتطلعات هذه الفئات. وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى تجذير العوامل الموجبة للاحتجاج، ويؤكد مأزقية الوضع و مآلاته المستقبلية المفتوحة على مزيد من الصراعات و التنافسات التي قد تقود إلى التفكك من جهة ، كما وقد تؤدي إلى تحول اجتماعي وسياسي[113]. لذا نعتقد أنه لا يمكن أن تحقق أي تنمية بدون ترسيخ النظم السياسية التي تعبد الطريق لبناء الدولة القومية الحديثة التي تكفل حق المشاركة السياسية وحق ركب التنمية الاجتماعية والاقتصادية و تخطي العوائق البنيوية التي تحول دون ضمان الحق في العيش الكريم لشرائح عريضة.

فمن خلال المعطيات القائمة منذ الاستقلال إلى حدود الألفية الثالثة يتأكد بالواضح على أن الدولة الفاعلة لازالت لم تتحقق حيث تم الفشل في تحقيق التنمية، وأن ما تم تحقيقه هو دولة بمواصفات كيان قانوني وسياسي وسيادي، وهيكل مؤهل لإحداث عدد من الخدمات سمتها التواضع. ذلك وجه أول لتفسير محدودية الإصلاحات الاجتماعية، ثمة وجه ثان يرادفه ويوازيه، وهو يتجلى في طغيان "الباترمونيالية" على بنية الدولة ومنه على طبيعة اشتغالها على المستوى السياسي، ويترتب عن ذلك، توجه سياسي يجمع بين منطق حديث تفرضه - موضوعيا على سبيل المثال- الثورة المعلوماتية، حركة التمدن الواسعة، تعاظم قاعدة المتعلمين في المجتمع، فضلا عن اندماج الاقتصاد الوطني في النظام الاقتصادي العالمي...، وبين منطق تقليدي يشرعن لهيمنة الأسرة الحاكمة سياسيا بالدرجة الأولى، ثم هيمنة على باقي السياقات الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي تكريس الفساد الإداري والاجتماعي والزبونية والمحسوبية في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية،

[113] افاق سوسيولوجية – مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ، الورقة الخاصة بمحمد عبابو ومحمد فاوبار ، ص 30

والتقليص من القدرة على الحصول على الفرص الاقتصادية والاجتماعية الأمر الذي لا يمنع من أن يظل المشهد المغربي فضاء لحصول ممكنات متناقضة، فمن جهة إصلاحات اجتماعية مهمة، ومن جهة أخرى اتساع لدائرة المهمشين[114].

من جانب آخر، يلاحظ، عموما، القصور الكبير على المستويين النوعي والكمي في التعاطي مع المسألة الاجتماعية و الإصلاحات الاجتماعية المتخذة رغم أنها أقرت بقدرتها على الاستجابة للحاجات المستعصية والملحة للساكنة إلا أنها لازالت لا تستطيع أن تغطي حجم العجز و الخصاص اللذان يتسعان بوتيرة متسارعة، وهو ما يخلق تفاوتا ما بين حجم الطلب على الدعم الاجتماعي وبين الخدمات المقدمة.

إن البحث في طبيعة علاقة الدولة مع الحقل الاجتماعي يؤشر بوضوح على أن هناك خلل بين ما تقدمه الدولة من خدمات وبين انتظارات المجتمع، وهو ما يؤكد على أن الدولة تفتقر إلى استراتيجية لواقع التنمية المتأزم، لاعتبارات من جهة تعود إلى حداثة تعامل الدولة مع المسألة الاجتماعية، علاوة على غياب مشروع مجتمعي شمولي.

وعودة إلى موضوع دراستنا الذي هم استدعاء الهامشي في زمن كورونا، ليسمع وليرى ويناقش المسألة الاجتماعية في الفضاءات الحضرية الهامشية التي ليست مناقشتها وليدة اليوم، فقد رافقت النقاش السياسي والحقوقي منذ الاستقلال. و كان لابد من الجائحة ليطرح المجتمع برمته مطلب الديمقراطية الحقيقية من جديد، ونقصد هنا الديمقراطية التي تجعل من المساواة في الحقوق هدفها السامي. واليوم في زمن الوباء لا يمكن غض النظر عما تعيشه فئات الهامش من مشكلات تزداد إلى مشاكل سابقة تتعلق بالتشغيل والمشاركة السياسية والمدنية وقضايا الهوية والانحراف والاقبال على الانخراط في الحركات الجهادية ... الخ .

ولا يخفى على أي كان أن مجتمع الهامش في المغرب، وبفعل السياسات الاقتصادية المعتمدة منذ الاستقلال، قد أصبح لها معايير ونظم خاصة جعلتها تبدو "كغيتوات حضرية" ghettosمنفصلة عن المدينة خصوصا بعدما انسحبت الدولة واكتفت بالحضور في الحد الأدنى. وفي زمن الوباء تعمق شعور هذه الفئات بالعيش على هامش العالم الخارجي، أي على هامش العمل والاستهلاك وهما هامشين تستشعرهما ساكنة الهامش بشكل قوي – لاسيما الشباب منهم وهو ما يخلق لديهم إحباطات وعنفا وعدائية ضد المجتمع بأكمله.

في هذا الصدد، طبيعي أن تجد الدولة نفسها في ظرفية استثنائية إزاء مشكلات "فراغات اجتماعية" خلقت بسياساتها المتتالية، واليوم يظهر على أن أزمة كورونا و مخاطرها تستدعي إعادة التفكير في السياسات العمومية من خلال ربطها

---

[114] يرجع هذا الاتجاه فشل الإصلاحات إلى محدوديتها في القدرة على اختراق السلطة الباترمونيالية ، معتبرا أن ما يعيق تحقيق إصلاح يتسم بالفعالية و النجاعة هو طبيعة المؤسسات المحدثة إلي يغلب عليها المنطق الأبوي ، وان ما يعيق تحقيق الدولة الوطنية هو غلبة النزعة السلطوية التي تستمد أركانها من ما هو صوفي مجسدة بذلك منطق الشيخ والمريد التي تقوم كما نظر لذلك عبد الله حمودي على الهبة، والتقرب ثم الخدمة.وهذه الثلاثية تم نقلها من الحقل الديني والعمل بها في نظيره السياسي. " لذلك تتراوح الدولة في المغرب، وفي قلبها النظام السياسي ، مابين الباترمونيالية الجديدة، وما بين السلطوية والاستبداد الشرقي"; افاق سوسيولوجية – مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية ، نفسه ، ص 26. ولأخذ فكرة أكثر وضوحا راجع بهذا الصدد :

A/Hammoudi. Maitres et disciples Genèse et fondement des pouvoirs autoritaires dans les sociétés arabes Essai d'anthropologie politique Editions Toubkal Casablanca .2001.PP 2-4 et 25.

بالمسألة الاجتماعية وبقضايا المساواة والديمقراطية والتوزيع العادل للثروة، فمستقبل الديمقراطية مغربيا رهين بمدى إدماج " الهامش" في البناء التنموي و إعادة التوازن للمجتمع عبر إدماج الهامش داخله.

ومن خلال المعطيات التي قمنا بتجميعها يظهر على أن عدم الالتزام بالإجراءات الصحية التي تعرفها مجالات الهامش بالمغرب لا تعود إلى "طبيعة" هذه الفئة التي يحب الخطاب المحافظ داخل المجتمع أن يربطها بعدم الوعي. إنه خطاب "" فوقي" يقوم على أساس الاتهام المبدئي لفئات الهامش بالخروج عن المعايير الأخلاقية والقواعد الاجتماعية، ويحملهم مسؤولية أرقام الاصابات الكبيرة التي يعرفها المجتمع. والمشكلة كلها تكمن في هذا التصور، الذي ينتهي في الأخير إلى الدعوة إلى مزيد من المقاربات الامنية وتعزيز القمع، بينما هي في الواقع المشكلة الحقيقية تمس المجتمع بأسره وترتبط على نحو أساسي بتفكك سيرورات إعادة إنتاج التماسك الاجتماعي التي تمارس عليها تحولات عنيفة وسريعة، بخاصة داخل حواضرنا الكبرى، ولا يجب أن نستغرب من مشاهدة الوقفات الاحتجاجية في زمن العزل الاجتماعي كما حصل بمنطقة قلعة السراغنة(تقع شمال مدينة مراكش وتبعد عنها بـ 80 كلم) ومنطقة زحليكة[115] المغربيين الهامشيين.

واليوم نحن أمام خيارين :الخيار الأول هو معالجة المشاكل والتخفيف من معاناة المواطنين، والخيار الثاني هو خيار تعزيز قدرات الناس على الصبر والتحمل وتهييئهم نفسيا على إمكانية التعايش مع الوباء لوقت طويل.

[115] وقعت الاحتجاجات بالضبط ب دُوَّار يقع بجماعة إزحيليكة، إقليم الخميسات، جهة الرباط سلا القنيطرة في المملكة المغربية

قائمة المراجع والمصادر بالعربية:

- أفاية محمد نور الدين، التفاؤل المعلق: التسلطية والتباسات الديمقراطية في الخطاب العربي الراهن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: بحوث ودراسات، رقم 52،الطبعة الأولى، 2011.

- البعون نادية، دراسة ميدانية حول العمل الجماعي للعاطلين حاملي الشهادات الجامعية العليا بالمغرب (المجموعات الوطنية الأربع للأطر العليا العاطلة نموذجا)، بحث لنيل دبلوم الماستر، مسلك القانون العام، تخصص القانون الدستوري والعلوم السياسية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط

- البيطار نديم، المثقفون والثورة: الانتيليجنسيا كظاهرة تاريخية، بيان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، الطبعة الثانية،2001.

- الحسن إحسان محمد، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1982.

- الزاهي نور الدين، الزاوية والحزب: الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة،2011.

- العروي عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1983.

- العطري عبد الرحيم، سوسيولوجيا الشباب المغربي: جدل الإدماج والتهميش ،طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى، 2004.

- بلقزيز عبدا لإله، العنف و الديموقراطية، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الأولى، 2000.

- بلقزيز عبد الإله، السلطة والمعارضة: المجال السياسي العربي المعاصر (حالة المغرب)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى،2007.

- بورديو بيير، أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، الطبعة الأولى، 1995.

- بورديو بيير، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1986.

- بوعزيز مصطفى، هنا وهناك: جدلية الالتزام والموضوعية، منشورات منظمة العمل الديمقراطي الشعبي، مطبوعات القدس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،1997.

- تيلي تشارلز، الحركات الاجتماعية (1768-2004)، ترجمة وتقديم: ربيع وهبة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى،2005.

- حجاري مصطفى، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثامنة،2011.

- خمليش عزيز، الانتفاضات الحضرية بالمغرب: دراسة ميدانية لحركتي مارس1965 ويونيو 1981،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،2005.

- ساعف عبد الله، تصورات عن السياسي في المغرب، ترجمة: محمد معتصم، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى، 1990.

- شارب جين، كفاح اللاعنف وسيلة فعالة للعمل السياسي، ترجمة: أحمد العلمي، دار الجديد، الطبعة الأولى، 1998.

- شراك أحمد، سوسيولوجيا التراكم الثقافي، منشورات المركز الوطني للإبداع المسرحي والسينمائي، فاس، الطبعة الأولى، 2004.

- غير تيد روبرت، لماذا يتمرد البشر؟،مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، 2004.

- لوبون غوستاف، سيكولوجية الجماهير، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، دار الساقي، لندن، الطبعة الأولى، 1991.

- مجموعة من الباحثين، إشكالية المنهاج في الفكر والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1987.

- مجموعة من الباحثين، الحركات الاجتماعية في الوطن العربي، تقديم : سمير أمين، تحرير عزة خليل، مركز البحوث العربية والإفريقية والمنتدى العالمي للبدائل، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى، 2006.

- مجموعة من الباحثين، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، تنسيق: المختار الهراس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 100، الرباط، الطبعة الأولى، 2002.

- مجموعة من الباحثين، المغرب الممكن: إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك، تقرير الخمسينية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006.

- واتر بوري جون، أمير المؤمنين: الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة: عبد اللطيف الفلق، عبد الأحد السبتي، عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر،الرباط، الطبعة الأولى، 2004.

- حمودي عبد الله، مصير المجتمع المغربي، رؤية أنثروبولوجية لقضايا الثقافة والسياسة والدين والعنف، حوار وإعداد: توفيق بوعشرين ومحمد زرنين، منشورات دفاتر وجهة نظر،العدد 5، الرباط، الطبعة الأولى، 2004 .

- رشيق عبد الرحمان، في حوار مع مجلة وجهة نظر، حوار: لطيفة بوسعدن، مجلة وجهة نظر، الرباط، عدد مزدوج 19-20، ربيع وصيف 2003.

- ساعف عبد الله ،المجتمع المغربي بين الاستمرارية والتغيير، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، العدد السادس، السنة الأولى، 1985.

Bibliographie

-Abouhani Abdelghani; « Urbanisation; habitat spontané et mouvements sociaux au Maroc»; in Abouhani (A); «L'Etat et les quartiers au Maroc: de la marginalisation à l'émeute. Habitat spontané et mouvements sociaux »; Série des livres du CODESRIA; Dakar; 1995.

-Adam André; «La médina dans la ville d'aujourd'hui au Maroc »; in « Système urbain et développement au Maghreb »; Horizon maghrébin ; Cérès productions 1980.

-Alpe Yves et autres; lexique de sociologie; Ed Dalloz; paris; 2005.

-Badie Bertrand ; Les deux Etats, pouvoir et société en Occident et en terre d'Islam; Librairie Arthéme Fayard; 1987.

-Badie Bertrand; Gerstlé Jacques; Sociologie politique ; Lexique ; PUF ; paris ; 1979.

-Benhaddou Ali; Maroc: les élites du royaume .Essai sur l'organisation du pouvoir au Maroc; L'Harmattan; 1997.

-Bennani –Chraïbi Mounia; Soumis et rebelles, les jeunes au Maroc; Editions Le Fennec, 1995.

-Bercé Yves – Marie; Révoltes et révolutions dans L'Europe moderne (XVIème – XVIIème siècles) ; PUF. 1980.

-Boukra Rida ; Espaces urbains, culture et violence. Urbanisation de la ville et émergence de la violence; Cahiers de Tunisie; n 137-138; Université de Tunis; 1986.

-Bourdieu Pierre; Questions de sociologie; éditions Minuit; paris; 1980.

-Bourdieu Pierre; Introduction à la socioanalyse; in: actes de la recherche en sciences sociales ; n° 90. Décembre. 1991.

-Bourdieu Pierre ; néolibéralisme; le monde diplomatique; décembre; 1998.

-Bourdieu Pierre; l'essence du néolibéralisme; le monde diplomatique; mars; 1998.

-Bourdieu Pierre; pour un savoir engagé; le monde diplomatique; février; 2002.

-Camau Michel; Constitutionnalisme et médiation politique ; AAN ; 1977; Editions CNRS. 1979.

-Castells Manuel; La question urbaine; Maspero; paris; 1972.

-Castells Manuel; Luttes urbaines; Maspero; 1975.

-Claisse Alain; Les systèmes de légitimité a l'épreuve; le cas des pays du Maghreb; in Claisse (Alain); Classe (Alain); Conac (Gérard); Le grand Maghreb; Economica ; 1988.

-Clément Jean – François ; Introduction a une étude géographique de la répression judiciaire des révoltes urbaines de janvier 1984 au Maroc ; Nancy, 1984, 38 p; ronéo (10 octobre 1985)

-Clément J.F; Stratégies répressives et technique de maintien de l'ordre; les des révoltes urbaines de janvier 1984 au Maroc; Ouvrage collectifs du Réseau Etats, villes, rapports sociaux et mouvements urbains dans le monde arabe; L'Harmattan; Paris, 1986.

-Clément J.F; Les révoltes urbaines; in Le Maroc actuel. Une modernisation au miroir de la tradition ? Editions du CNRS, 1992.

-Daoud Zakya; Le temps du Maghreb en difficulté; Le Monde diplomatique; n° 447, juin 1991.

-De Lauwe P-H Chombart; Des hommes et des villes; PAYOT; France, 1970.

-Delcour Roland; Après les émeutes de Casablanca, L'USEF dénonce la mise en œuvre d'une justice expéditive dans le pays; Le Monde; n° 11333; 7 juillet 1981.

-Escallier Robert; Elites, pouvoir et villes dans le monde arabe éléments d'analyse de la citadinité; Fascicule de recherches, n° 29.

-Galland Olivier; L'entrée des jeunes dans la vie adulte; problèmes politiques et sociaux: la documentation française; n° 795, 5 décembre 1997.

-Forcé Michel; les théories du changement social; dans la sociologie: histoire et idées, Coordonné par Philippe cabin et Jean François dortier, éditions sciences humaines; Paris 2000.

-Hoche Christian ; Le samedi noir de Casablanca; L'Express ; n°1564, du 26 juin au 2 juillet 1981.

-Julien Charles – André; Le Maroc face aux impérialismes (1415-1956); Editions Jeune Afrique; Paris, 1978.

-Kamal Eddine Mourad; Le Maroc a la recherche d'une révolution; Sindbad; paris; 1972.

-Leveau Rémy; Le fellah marocain défenseur du trône ; Presse de la Fondation nationale des sciences politiques; France, 1985.

-Liauzu Claude; Etat, ville et mouvements sociaux au Maghreb et au Moyen – Orient; Macherk- Maghreb; n° 115; janvier – février – mars, 1987.

Menouni Abdellatif; Le syndicalisme ouvrier au Maroc; EDIMA; Casablanca; 1979.

-Mignard Jean – pierre; Rapport sur les événements de Casablanca, 20-21-22 juin 1981; Bulletin de l'USEP; Rabat; 9 juillet 1981.

-Musette Mohamed Saib; Emploi des jeunes en Algérie; in Université Mohammed V (Royaume du Maroc); Faculté des Sciences de l'éducation, Rabat; Actes des journées d'études : Jeunes et société dans le pays du Maghreb; du 11 au 13 décembre 1991; Revue marocaine des sciences de l'éducation; 1993.

-NeveuErik; sociologie des mouvements sociaux; Ed la découverte; repères,207,3émé Edition, paris,2002.

-Rachik Abderrahmane; Ville et pouvoirs au Maroc; Editions Afrique Orient: Casablanca, 1995.

-Rachik Abderrahmane; Politique urbaine et espace périphérique à Casablanca, le cas de Ben M'sik – Sidi Othmane; Thèse de doctorat d'Etat en géographie urbaine, Université Hassan II, Faculté des lettres et des sciences humaines; Ain –Chok Casablanca, 1999.

-Rocher Guy; introduction a la sociologie générale: le changement social; Tome 2, Ed HMH, Ltée,1968.

-Talha Larbi; Révoltes urbaines, dépendance alimentaire et endettement extérieur; ANN, 1984; CNRS, 1986.

-Touraine Alain, La conscience ouvrière, paris. Seuil, 1968.

-Touraine Alain, La voix et le regard, Edition serial, paris, 1978.

-Touraine Alain, production de la société, paris. Seuil, 1973.

-Touraine Alain, parole et le sang, paris, Odile Jacob, 1988.